القاهرة كما رآها الرحَّالة العبدري

د. أحمد عبد الرازق عبد العزيز محمد(*)

مقدمة

الرحلة هي مخالطة الناس والأقوام، وهى مصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ورصد لبعض جوانب الحياة اليومية لمجتمعٍ ما في حقبةٍ زمنية محددة؛ وهنا تبرز قيمة الرحلات من حيث كونها تتعلَّق بحياة الأفراد، والأُمم(١).

لذاتُعد أعمال الرحَّالة وكتاباتهم أحد أهم المصادر لإلقاء الضوء على الحضارة العربية في عصورها المختلفة، فقد اتَّسعت الرحلة الإسلامية في العصور الوسطى، وخرج المسلمون إلى تخوم دولتهم المتَّسعة شرقاً وغرباً؛ فعرفوا بلاداً في قمَّة الحضارة والرقي، أخذوا عنها، وأفادوا منها، وكان الذهاب لتأدية فريضة الحج من أعظم البواعث للرحلة؛ لذا أثناء الذهاب أو العودة في طريق الحج كانت الظروف تُتيح لأصحاب الرحلات معاينة بعض البلاد التي صادفوها، وعادات أهل هذهِ البلاد، وطباعهم، واحتفالاتهم، وغير ذلك من مشاهداتهم.

فقد جاءت مساهمات الرحلة من خلال طرح وسائل معرفة الإنسان بعالمهِ، في إطار بيئةٍ مغايرة، وثقافةٍ مختلفة، ونشاطٍ حضاري بعيد عمَّا ألفه واعتاده في بيئتهِ؛ لذا كانت كتابات أصحاب الرحلات شاهداً معاصراً للأحداث التي عاشوها ورأوها رأى العين، فأتت كتاباتهم، ورواياتهم صادقةً دون تملُّقٍ لأيِّ سلطان، وظلَّت عين الرحَّالة الغريبة بمثابة آلة التصوير التي تسجل ما ألفه الناس واعتادوه، بحيث حسبوه غير جدير بالملاحظة، وهو ما يعني أنَّ الرحلة قدَّمت لنا الكثير من المادة الخام التي قامت على أساسها دراسات التاريخ الاجتماعي(٢)؛ فلا يستطيع أيَّ باحث أنْ يتجاهلها؛ لأنَّها ترصد ملامح الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وقت وجود صاحب الرحلة، كما أكَّدت كتابات الرحَّالة بها معلومات لهم يذكرها أصحاب الحوليات؛ لأنَّهم يألفونها.

(*) جامعة الزقازيق / كلِّية الآداب / جمهورية مصر العربية. Ahmed_abuyossif@yahoo.com

وترك رحلة عنوانها (الرحلة المغربية)، والتي تميَّزت بوجود جانبٍ مهم من تاريخ مصر الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، بل والديني في عصر الناصر مُحَمَّد، وإنْ كان يؤخذ على صاحبها نقده اللاذع للمصريين في مواضع كثيرة من رحلتهِ.

التعريف بصاحب الرحلة

هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري، وينتهي نسبه إلى عبد الدار بن قصي بن كلاب، وإليه نسبته[٣]. وهو مغربي الأصل، ويعتز بالمغرب، وأهله[٤]. ويُشير الأستاذ كردي علي أنَّ المصادر لم تُشير لنا بتاريخ ولادة العبدري أو حتَّى وفاته، ولكنه قام برحلتهِ في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وثمانين وست مائة، وكان في عنفوان عمرهِ في ذاك الوقت[٥]، ولكن الثابت أنَّه كان حياً بعد عام ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م[٦]، ويحلل كردي هذا التاريخ بقولهِ إنَّه كان في الخامسة والأربعين بذاك الوقت، بدليل قوله عن ابن خميس التلمساني، الذي كان في الثامنة والثلاثين من عمرهِ، بأنَّه فتي السن، فتكون ولادته حوالي عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م، وأغلب الظن أنَّ وفاته كانت بعد سنة سبع مئة للهجرة، وهذا قريبٌ ممَّا قدَّره الدكتور عمر فروخ (١٩٠٦-١٩٨٧م)، إذ جعل وفاته عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م[٧].

ولا تمدنا المصادر عن دراستهِ وبدايات نشأتهِ، ولكن ربما تتلمذ على يد والدهِ، ودخل الكُتَّاب في بلدتهِ (حاحة)، وتعلَّم حفظ المتون، ومبادئ الحساب، وغير ذلك، ثمَّ انتقل إلى مراكش، وأخذ من علمائها، أمثال: مُحَمَّد بن علي بن يحيى الشريف الذي كان شيخه وشيخ صاحبه ابن عبد الملك المراكشي[٨]، والغالب أنَّه نشأ وترعرع في بلدةٍ صغيرة تُعرف باسم (الحاحة)، وتقع بين بسكرة وتوزر في المغرب الأقصى[٩]. وقد أفاد العبدري من كثرة مشايخهِ، وتنوع ثقافاتهم، فأتقن كثيراً من الفنون، حيث ظهرت جلية في رحلتهِ التي بدا فيها المؤلِّف حافظاً للقرآن والحديث، مطَّلعاً على الأدب العربي وعارفاً بالتاريخ، والألقاب، والكنى، وحتَّى الأماكن، ومصطلحات علوم الأدب، والبلاغة، والعَروض[١٠].

وقد أشار الأستاذ كردي إلى عدم وجود مؤلَّفاتٍ للعبدري غير الرحلة، وممَّا يعيننا على ما ذهب إليه ويقويه أنَّ البلوي أورد في رحلته قصيدة العبدري التائية التي عارض فيها القاضي عياضاً في كتابهِ (الشفا)، وقد أشار الكتَّاني صاحب (فهرس الفهارس) إلى أنَّه يروي (فهرسة العبدري) من طريقين مختلفين، وهو ضربٌ من التأليف يختلف عن تأليف الرحلات[١١].

وقد كانت دوافع العبدري من رحلتهِ أمرين:

الأول: وهو سبب ديني لأداء فريضة الحج، وزيارة الأماكن المقدسة، بل كان ينوي البقاء في مكَّة بقية حياتهِ، وجهَّز منزلاً لذلك لولا حدوث فتنة هناك أرغمته على الرحيل عن مكَّة.

الثاني: هو طلب العِلم، ورغبته في لقاء العلماء، والمشايخ، والأخذ عنهم، وقد ساعدته الظروف للقاء العديد من العلماء والمُحدِّثين في البلدان التي مرَّ بها طوال رحلته[١٢]، وإنْ لم يجد هذا النوع من العلماء هجا بلسانهِ هذهِ البلاد وأهلها، حيث قال في مدينة طرابلس: «هي للجهل مأتم، وما للعلماء بها عُرس... ترى أجساماً حاضرة والعقول في عقل غيابات الغيبة»[١٣]، ورغم لقائهِ للشيخ ابن

دقيـق العيد بالقاهـرة، وقد أفـاض في الحديث عن علمهِ، وكذلك لقاؤه لشرف الدين الدمياطي الذي قـال عنه: «أقرب إلى الإنسـانية»، وحفـظ جميله في العمـل على علاجهِ بل وبعث له طبيبه أثناء مرضه؛ فرغـم كلِّ ذلـك إلَّا أنَّه هجـا أهل القاهـرة، وقال عن علمائهم: «عالمهم أجهـل من فراش، ورفيعهم أوضـع من خشـاش»، وعدَّد فيهم أسـوأ الصفات على وجه الأرض[١٤].

أمَّـا عـن مـدَّة الرحلـة، فيبـدو أنَّهـا اسـتمرت أكثـر من سـنتين؛ فقـد زار العبـدري تونس مرتين في طريـق ذهابـهِ إلى الحج عام ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م، وعنـد رجوعهِ عـام ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م؛ وعلى هذا الأسـاس يكون العبدري قد أمضى ثلاث سـنوات في رحلتهِ[١٥].

أمَّـا منهـج العبـدري في تأليـف رحلتـهِ، فقـد اتَّسـم بالمصداقيـة والواقعيـة، فـكان وصفه يتَّسـم بالدقَّـة من ذكر بعض أوصـاف، وأحوال البلدان، وأهلها من عاداتٍ، وتقاليـد، وثقافة، ولباس أهل البلـدان التـي مرَّ عليهـا، ولكنه كثيراً مـا كان يتأثر ببعض المواقف؛ فيُبدي ضجره وضيقه، فمثلاً أثناء سـيرهِ في شـوارع القاهرة، قال: «والزحام متصل، والطـرق غاصَّة بالخلـق، حتَّى ترى المـاشي فيها ما لهُ همٌّ سـوى التحفظ من دوس الـدواب إيَّاه، ولا يمكنه تأمـل شيء في السـوق؛ لأنَّ الخلق يندفعون فيهـا مثل اندفـاع السـيل. وقد ضاعـت لي بها دابة بسـبب الزحـام»[١٦]، ونجـده في موضـعٍ آخر يذم حكَّام الدولة الفاطمية دون أنْ يتعامل معهم، لكنه يمدح حكَّام دولة سـلاطين المماليك، وينسـب لهم كلَّ جميـلٍ في الدولـة، أمَّـا أهل البلـد فقد أفاض في هجائهم[١٧]، ولكن هذا لا ينفي أنَّ رحلة العبدري قـد حوت عـلى العديد مـن المعلومـات الجغرافية، والتاريخيـة، والأدبيـة، والاجتماعيـة إضافـةً إلى المعلومـات الفقهيـة؛ لذلـك نلاحـظ أنَّ مصـادره متنوعـة تنوعـاً كبيراً، ويـأتي في أولها المشـاهدة، ثمَّ الروايـة الشـفوية، ثمَّ المصنَّفـات المختلفة التي نقل منها[١٨].

وتُعـد رحلة العبدري ذات أهمية بالغة لِمَا تحويه من معلوماتٍ مهمة، وغزيـرة من حيث الجغرافيا، والتاريـخ، والثقافـة البشرية مـن عـاداتٍ وتقاليد وغير ذلك.

وقبـل الحديث عـن القاهـرة يجـب أنْ نوضح كيـف أصبحت مصر (الفسـطاط) والقاهرة مدينة واحدة!

القاهـرة المعزية هـي رابع موضـع انتقل سرير السلطنة إليه من مصر في الدولة الإسلامية[١٩]، وقد اختصهـا جوهر الصقـلي في عـام ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م لتكـون حصناً فيما بين القرامطـة، وبين مدينة مصر (الفسـطاط) ليقاتلهـم مـن دونها[٢٠]. وتقـع مدينة مصر جنوبها[٢١]، فقد سـاعد تأسـيس القاهرة على نهضة الفسـطاط[٢٢]، وقُدِّر للقاهرة أنْ تلعب دوراً هامـاً في التاريـخ العـربي، ومطمعاً للغـزاة لتصبح بذلك صاحبة أهم حضارة إسلامية خلال القرنين السادس والسـابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

وكانـت القاهـرة «منزل سـكن الخليفـة، وأهل الدولـة»[٢٣]، بينما سـكن التجار والعامة، والعسـكر الفسـطاط؛ لتركز التجارة بها[٢٤]، إلَّا أنَّه كان للعامة نصيـبٌ في القاهـرة بالهجـرة الإجباريـة، فلـم يكن أهـل الفسـطاط يرغبون في سـكن القاهـرة بقدر ما أجبرتهم الظروف القاسـية لذلك، واختلاف وضع المدينتين خلال القرنيين السادس والسابع الهجريين؛

فقد كان لخراب الفسطاط سببان أحدهما الشدَّة العظمى (المستنصرية) في خلافة المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م)[٢٥].

وقد وصلت العِمارة أقصاها في عهد الآمر بأحكام الله (٥١٥-٥١٩هـ/ ١٢٢١-١٢٢٥م)، ووزيره المأمون (شوال ٥١٥-رمضان ٥١٩هـ/ ديسمبر ١٢١١-أكتوبر ١١٢٥م) الذي شجَّع الناس على العِمارة، وذلك بالمُناداة ثلاثة أيام في القاهرة ومصر بأنَّ مَن له دار في الخراب فليُعمره فنقل الناس ما كان بالقطائع، والعسكر من أنقاض[٢٦]، وعمَّر الناس البيوت في الشارع الأعظم حتَّى صارت مصر والقاهرة لا يتخلَّلها خراب، وقد جُعلت شوارع المدينة ضيقةً عن قصدٍ بسبب حرارة الجو[٢٧]، ويُعتبر الامتداد الأول للقاهرة كان خارج أسوارها الشمالية والجنوبية التي شيَّدها جوهر الصقلي، وتمَّ الامتداد مع بداية القرن الخامس الهجري، عندما اختُطَّت حارة الحسينية شمال القاهرة، وبناء الجامع الحاكمي (٤٠٤هـ/ ١٠١٣م)، فوصلت بذلك القاهرة لدرجةٍ من الرُّقي، وبالغت الحكومة والأهالي في تحسينها حتَّى اتصلت بالفسطاط فصار بلداً واحداً[٢٨].

أمَّا الحادثة الثانية التي أثَّرت على وضع الفسطاط وبالتالي الهجرة للقاهرة هو حريقها[٢٩]؛ ففي أيام العاضد عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م استولى الفرنج على الديار المصرية، وأرادوا أخذ الفسطاط، فأشار (شاور) على الخليفة العاضد بحرقها «فلما أُحرقت مدينة الفسطاط تحول الناس إلى القاهرة»؛ فخاف الفرنج ورحلوا عن مصر؛ وكان سبباً لخراب الفسطاط[٣٠]. وأثناء الحريق، ترك الناس أملاكهم، ونزلوا بمساجد، وحمامات، وأزقَّة القاهرة؛ وصاروا مطروحين بأولادهم، واستمرت النار تأتي على مساكن الفسطاط من يوم ٢٩ صفر لمدَّة (٥٤) يوماً[٣١]. ومن ثمَّ خربت مصر الفسطاط، وتلاشى أمرها، وذهبت أموال الناس، ولكن (شيركوه) أمر الناس بالرجوع فتراجع إليها الناس قليلاً، وعمَّروا ما حول الجامع[٣٢]، ليصبح أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي هو بداية ظهور نجم القاهرة لتبتلع ما حولها من مدنٍ إسلامية.

وفي عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م أقام صلاح الدين الجمعة الثانية من المحرم بالقاهرة[٣٣]، لتُعلَن قيام الدولة الأيوبية، وجعل القاهرة سكناً للعامة، فصارت خططاً، حارات، شوارع، مسالك، وأزقة[٣٤]. وخوفاً من العدوان الصليبي على عاصمة البلاد، والفسطاط فقام بهدم كثيرٍ من الأهرامات الصغيرة لبناء سور القاهرة على يدِ (قراقوش) محيطاً بالفسطاط، والقاهرة، وما بينهما، والقلعة التي بالمُقطَّم[٣٥]، فقد امتد السور حتَّى انتظم بالمدينتين[٣٦].

وخلال القرن السابع الهجري لم يُترك قطعة أرض فضاء داخل حدود القاهرة من جنوبها إلى شمالها إلَّا وأقاموا فيها الأبنية المتعددة وخصوصاً المساجد، والأضرحة[٣٧]؛ ممَّا كان له الأثر على إقبال الفقراء، والمحتاجين على الهجرة لها، لاسيَّما بعد أنْ ذابت الفسطاط بها.

ويؤكِّد ذلك قول مؤرِّخنا المقريزي في أيام المنصور قلاوون، حيث «اتصلت عمائر مصر والقاهرة فصار بلداً واحداً» تشمل المنشآت الأخرى كالخطط، والجوامع، وغيرها[٣٨]. ويُعتبر عهد مُحَمَّد بن قلاوون فترة تجديد عمراني شَمِلت

القاهـرة بأجمعهـا؛ لتصبـح أكـبر دولـة في المنطقـة فعُمِّرت أنحاء القاهـرة الأربعة[٣٩]، وكانت هناك صفـة مميزة لتلـك الحقبة وهـي عنـد إقامة إحدى المـدارس أو الجوامـع يكـون ذلـك إيذانـاً بتعمير المنطقـة[٤٠]، مثلـما فعـل بيـبرس عنـد بنائـهِ جامع شـمال القاهرة بالحسـينية عام ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م بميـدان قراقـوش؛ لتعمـر تلـك المنطقـة؛ لتصبح مـن أعمـر مناطـق القاهـرة[٤١]، وتُعتـبر القاهـرة وامتداداتهـا صـوب الجنـوب في اتجـاه القلعـة، ومسـجد ابن طولون خلال القرن السابع الهجري مركز النقل الاقتصادي لمصر[٤٢]؛ ممَّا يُتيح الفرصة لتجمـع الصُنَّاع، والحرفيين في هذا الموقع متنفسـاً لهم.

وبالإجمال كانت المدينة في أواخر القرن السابع الهجـري / الثالث عـشر الميلادي، تتجـلَّى في أبهى صورهـا، ولم يبـقَ من الفسـطاط إلَّا كيانهـا القائم فيـما بـين النيـل والمُقطَّـم فقـد كان النمـو العِمراني للقاهرة، وملـئ الفراغات، والفواصل بين مدينتي مصر الفسـطاط، والقاهرة، والقلعة؛ ليظهر مجتمعاً حضريـاً كبـيراً في القرن الثامـن الهجـري / الرابع عـشر الميـلادي[٤٣]، فكلَّ مـا وصلت إليـه القاهرة خلال القرنين السـادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، كفيل بأنْ يكون سبباً للهجرة لها، سواءٌ كانت إجبارية أم اختيارية.

القاهرة كما صوَّرها العبدري

عندمـا نرافـق الرحَّالـة العبـدري في رحلتـهِ بالقاهـرة، ورؤيتـه لهـا، كلَّ ذلـك في إطار دراسـةٍ مقارنة عـن أقوال الرحَّالة السـابقين، أو اللاحقين كلَّما تطلَّب الأمر ذلك. حتَّى يكون في البحث إثراء للقارئ.

فعندمـا دخـل العبـدري القاهـرة أشـار بأنَّهـا عاصمـة المملكـة، وأفضل المـدن بها، وأشـار لكِبَر قطرها، وساكنها الذي شبَّهه بالرمل كنايةً عن كثرة العـدد؛ بالإضافـة لذكرهِ لكثـرة خيراتهـا[٤٤]، وقد اتفـق بعض الرحَّالة معه، مثـل: الرحَّالة الفلمندي جـوس فـان جيسـتل Joos van Ghistele (١٤٤٦-١٥٢٥م) الذي أشار إلى أنَّ القاهرة مليئة بالسكَّان[٤٥]، واتفق معه الراهب البندقي سوريانو Francisco Suriano (١٤٥٠-١٥٢٨م) الـذي أكَّـد أنَّ عـدد سـكَّان القاهـرة لا حـصر لهـم[٤٦]، وأكَّد الفـارس الألماني آرنولـد Arnold von Harff (١٤٧١-١٥٠٥م) ذلـك عندمـا قـال: «القاهـرة تعجُّ بالسـكَّان»[٤٧]، وقال السـفير البندقـي دومونيكو أنَّها «مليئـة بالبشر، والذي ربما يبلـغ عددهـم مليون ونصـف المليون نسـمة»[٤٨]، أمَّـا الرحَّالـة بنيامـين التطيـلي Benjamin of Tudela (١١٣٠-١١٧٣م) فقد أشـار لانتشار عـددٍ مـن الحِـرَف والصناعات بهـا، وبالتـالي كثرة العاملـين فيها، وانتقال العلـماء والأغنياء إليها[٤٩]، بينما أشـار ابن سـعيد إلى أنَّ «القاهـرة أجد وأعمر وأكثـر زحمـةً»[٥٠]، أمَّـا شـيخ المؤرِّخـين المقريـزي فأشـار إلى كثرة المتعيشـين بالقاهرة، والمستخدمين أيام الخلافـة الفاطمية، بالإضافة لكثـرة الحوانيت المسـكونة العامرة[٥١]، والأهم من ذلك هو بإعلان قيـام الدولـة الأيوبية على أيدي صـلاح الدين عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، جعـل القاهرة سـكناً للعامة، وصارت خططاً، وحارات، وشـوارع، ومسـالك، وأزقة[٥٢]، حتَّى زادت في الاتساع والعِمران، وبلغ طول سورها نحو (١٥) كم[٥٣].

وقـال عنها ليـون الأفريقـي Joannes Leo Africanus (١٤٩٤-١٥٥٤م): «هـي إحـدى

أكبر مدن العالم، ومن أكثرها رونقاً وبهاءً»، وفي موضعٍ آخر قال إنَّها: «تضم ثماني آلاف أسرة، وهذهِ المدينة مجهَّزة بما يلزم من الصُنَّاع والباعة الذين يُقيمون على الخصوص في شارع يذهب من باب النصر حتَّى باب زويلة»، وأشار للعديد من الدكاكين التي بها جميع الأصناف بما يدل على كثرة ساكنيها[٥٤]، بينما قال ابن ظهيرة عنها: «إنَّها أعمر مدينة بكثرة الخلق فيها، وضيَّقة لكثرة الناس»[٥٥]، في حين يرى الرحَّالة بلوتي الكريتي أنَّ القاهرة أجمل بلد في العالم[٥٦]، بينما يراها بعض الرحَّالة الأجانب أكبر مدينة في العالم[٥٧]، ويراها فابري Felix Fabri (١٤٤١-١٥٠٢م): «أكبر من مدينة باريس بكلِّ تحصيناتها... سبع مرات»[٥٨]، أمَّا الرحَّالة جوزيف بتس Joseph Bates (١٧٩٢-١٨٧٢م) فقال إنَّها مستودع للغرباء[٥٩]، أمَّا ميشولام الرحَّالة اليهودي Mishoulam bn Mnham فقال: «إذا أردت أنْ أكتب وأصف عظمة وثروات المدينة مصر (القاهرة)، أُقسم أنَّه يحتاج إلى أكثر من مجلَّد، وأضاف أنَّ محيط مصر يزيد عن ثمانين ميلاً»[٦٠].

ومن زاويةٍ أخرى فقد أشار العبدري إلى وصولهِ للقاهرة في آخر شهر رمضان، وتطرق إلى صلاة أهل القاهرة (العيد) في المساجد بينما البعض منهم يصلي في ساحةٍ تحت القلعة وسط البلد، ولا يبرزون لها كما وردت في السُّنَّة[٦١]، وقد عاب على أهل العاصمة هذا الأمر. وجديرٌ بالذكر أنَّه كان الاستعداد للعيد عند المجتمع المصري ذا أهميةٍ كبيرة من تجهيز الملابس، والزخارف، بينما تفضل فئة أخرى من المجتمع المصري الاستماع للقرآن الكريم، والأذكار، ومع طلوع النهار يتوجه الرجال لأداء صلاة العيد في موكبٍ كبير، وهم يهللون، ويُكبِّرون حتَّى يصلوا إلى المسجد حيث يقوم الإمام بالصلاة بعد التكبير والتهليل، ويُفضل أنْ يكون لبسه أبيض، ويقتصر في الخطبة. وأكَّد ابن الحاج على أنَّ بعضهم يُصلِّي في ساحةٍ تحت القلعة وسط البلد، وكلُّ هذا بخلاف لبس الرجال والنساء أفضل ما عندهم، والتعطُّر بأفضل العطر، ويُكبِّرون ويهللون حتَّى الخروج إلى المُصلَّى؛ فنجد المؤذنين يرفعون أصواتهم بالتكبير، وبعد الصلاة يقوموا بالتكبير والتسليم على بعضهم بعضاً[٦٢].

وقد كانت هذهِ بعض المظاهر المرتبطة بالذهاب، والاحتفال بعيد الفطر، وهذا بخلاف العديد من المظاهر الأخرى التي تدل على فرحة المجتمع المصري، والاهتمام بالاحتفال بالعيد. بينما اقتصر العبدري العيد وصلاته في الصلاة بالمساجد، وأنَّ هذا مخالف للسُّنَّة متجاهلاً كمَّ الاهتمام من جانب الدولة المتمثلة في السلطة، والمجتمع في الاهتمام باحتفالات العيد[٦٣]، وقد أشار مؤرِّخنا المقريزي إلى أنَّ عادة السلاطين الصلاة في جامع الميدان ثمَّ جامع القلعة بعد ذلك، الذي يتَّسع إلى خمسة آلاف مصلي[٦٤].

لقاؤه العلماء

ذكر العبدري لقاءه بالشيخ الفقيه شرف الدين الدمياطي، وقد وصف شكله وطباعه، وعدَّد أعماله، وسَمِع منه الأحاديث، والكثير من أبيات الشعر إلى أنَّه أفضل خط بديار مصر بالإضافة لتواضعهِ، ولم ينسَ فضله عندما رجع من الحجاز إلى مصر، ونزل القاهرة للمرة الثانية حيث التقى بالشيخ شرف الدين بالمدرسة الظاهرية، وكان مريضاً، وكلَّف طبيبه أبو الطاهر إسماعيل المقدسي بعلاجهِ، حيث ظلَّ سبعة أيام يتابعه حتَّى تماثل

للشفاء بأمر الله، وقد فسَّر العبدري مرضه بأنَّ هواء البلد غير ملائم له، وبمجرد خروجهِ من القاهرة متوجهاً للإسكندرية عادت قوته، وصحَّته مرةً أخرى[٦٥]، وأشار إلى لقائهِ لابن دقيق العيد صاحب المدرسة الكاملية، وعالم الديار المصرية، ونرى في حديثهِ عنه انتقاءهُ لأرقى معاني الكلمات والألفاظ، مثل: «لقيت منه حبراً يحق له اللقاء، وبحراً من علم لا تكدره الدلاء، وطباً أسياً يشفي بقولهِ الداء العلياء، له تفنن في فنون العلوم، وتسلُّط عليها بذهنٍ يرد المجهول إلى المعلوم»، وهكذا، وقد عدَّد مناقبه، وشهرته، وكان رقيقاً بقولهِ: «هو الآن قطب مصر وعملها»، وقد قال إنَّه: «أجازني جميع ما حدَّث بهِ من مسموعاتهِ، وجميع ما صدر عنه من نَظْمٍ ونثر»[٦٦]، وهذا ليس بغريب؛ فالرجل جاء لمصر، وهي حاضرة الخلافة مليئة بالعلماء والفقهاء وطلبة العِلم... وغيرهم، إلَّا أنَّه بالرغم من ذلك كان بخيلاً في إعطاء الحركة العلمية بالقاهرة نصيبها من الرحلة.

رؤيته لعجائب مصر

ظهر واضحاً لنا من الوهلة الأولى شدَّة إعجابهِ بآثار مصر، حيث قال: عجائب مصر «أكثر من أنْ يحصرها كتاب، أو يُحيط بها حساب. وقد سطَّر المؤرِّخون من ذلك ما أغنى عن ترددهِ، وشغل القلم بإيرادهِ، وما ظنك بأرضٍ هي مسيرة شهر للمجد... ما بها قرية إلَّا وهي تُناظر أخرى، ولا بستان إلَّا وهو يسامي آخر، ولا مدينة إلَّا وهي تُشير إلى أختها، ما تسافر إلَّا في عِمارةٍ مُتصلة، وطُمأنينة من الأرض متأصلة، والطرق في الصحراء غاصَّة بالخلق»[٦٧]. فقد جمع العبدري أفضل الكلمات في وصفهِ لمصر، وتغزل فيها بحبٍّ وعشق، وكأنَّه نشأ وترعرع في خيرها، وأشار لمدى الأمان الذي عمَّ ربوعها.

وإنْ تحدثنا عن رؤية المؤرِّخين، والرحَّالة لمصر؛ فنرى مثلاً الرحَّالة عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧-٦٢٩هـ/ ١١٦٢-١٢٣١م) يُشير إلى أنَّ مصر من البلاد العجيبة الآثار، والنبات، والحيوان، والأبنية، والأطعمة[٦٨]. وقد اتفق الكندي، وابن زولاق (٣٠٦-٣٨٧هـ/ ٩١٩-٩٩٧م) في أمن مصر وأمانها، فقد قيل فيها: «مصر خزانة الأرض كلِّها، وسلطانها سلطان الأرض كلِّها»، وهي متوسطة الدنيا؛ فشَملت من الحرِّ البرد «فطاب هواؤها، ونقى جوها وضعف حرها، وخفَّ بردها... فكثر خصبها، ورغد عيشها، ورخص سعرها... وأجمع أهل المعرفة أنَّ أهل الدنيا مضطرون إلى مصر يسافرون إليها، ويطلبون الرزق بها، وأهلها لا يطلبون الرزق في غيرها، ولا يسافرون إلى بلدٍ سواها، حتَّى لو ضُرب بينها وبين بلاد الدنيا لغني أهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا»[٦٩].

بينما ذكر صاحب كتاب (حدود العالم) أنَّ مصر «أغنى بلاد الإسلام، وفيها مدن كثيرة جميعها عامرة»[٧٠]، وأشار ليون الأفريقي: «إنَّ القاهرة هي إحدى أكبر مدن العالم، ومن أكثرها رونقاً وبهاءً»[٧١]، ويكفي الإشارة إلى قول الرحَّالة جوزيف بتس عندما أراد أنْ يتحدث عن القاهرة، فقال: «عليَّ الآن أنْ أزيد القُرَّاء تفصيلاً عن القاهرة العظيمة ذات الشهرة التاريخية»، واسترسل في شرح مباني القاهرة من مساجد، وخانات، وأماكن مُعدَّة لإيواء الغرباء[٧٢]، بينما قال ابن شاهين الظاهري (٨١٣-٨٧٣هـ/ ١٤١٠-١٤٦٨م) عنها: «وبالقاهرة من العمارات الحسنة، والأسواق ممَّا يطول شرح ذكره»[٧٣].

وأخيراً كان لا بدَّ من ذكر رأي بعض مؤرِّخي مصر، أمثال السيوطي الذي أشار أنَّ «مصر هي إقليم العجائب، ومعدن الغرائب... والبساتين خلف المدن متصلة كأنَّها بستانٌ واحد، والمزارع من خلف البساتين»[٧٤]، وكان لا بدَّ كذلك من أنْ أختتم توثيقي بشيءٍ من شيخ المؤرِّخين المقريزي، حيث أشار إلى «أنَّ الله عزَّ وجل ذكرها في كتابهِ العزيز بضعاً وعشرين مرة، تارةً بصريح الذكر وتارة إيماءً»، وفي موضعٍ آخر قال: «مصر خزائن الأرض كلها... ولو اشتغل السلطان بعِمارتها لوفت له بخراج الدنيا»، ومنها قوله: «من محاسنها أنَّ الذي ينقطع من الفواكه في سائر البلدان أيام الشتاء يوجد حينئذٍ بمصر»، أمَّا عن عجائبها فحدِّث ولا عجب[٧٥].

ومن ضمن هذهِ العجائب الأهرام ومعابدها، فقد أبدى العبدري إعجابه بها وبدأ يتحدث عنها، حيث قال: «مبانٍ عجيبة في غاية الغرابة مُضمَّنة من الحكمة، وغرائب العلوم ما صار أعجوبةً على وجه الدهر»، وبدأ يشرح دار ملك مصر متسلسلاً في شكل عهودٍ زمنية مختصرة، حيث أشار أنَّ دار الملك بمصر كانت مدينة منف قديماً، وهي قرب الفسطاط، ثمَّ أصبحت الإسكندرية، ثمَّ اختطَّ عمرو بن العاص الفسطاط، ثمَّ «صارت اليوم المدينة التي بناها العبيديون قاعدة الديار المصرية بأسرها، ودار ملكها» ويقصد القاهرة، وبدأ يشرح كيفية شكل الأهرام وبناؤها، وما بها من حفظ الجثث لتطبيق علم الفلك في البناء، حيث قيل: «ليس على وجه الأرض أرفع بناءً منها، ويُذكر أنَّ عمقها في الأرض مثل ارتفاعها»[٧٦]، وليس أصدق على هذا القول من شيخ المؤرِّخين المقريزي، حيث قال: «ليس على وجه الدنيا بناء باليد حجر أطول منها»[٧٧]، وقد فاض السيوطي في الحديث عن الأهرام، حيث قال صاحب المرآة: «من عجائب مصر الهرمان، سمك كلٍّ واحدٍ خمسمائة ذراع في ارتفاع مثلها»[٧٨]، وقال البغدادي فيها: «أكثر الناس من ذكرها، ووضعها، ومساحتها»، ومن حجارتها بُني سور القاهرة بإشراف بهاء الدين قراقوش، بأمر السلطان صلاح الدين الأيوبي[٧٩]. وقد اتفق ابن الكندي، وابن زولاق على أعجوبة الهرمين الكبيرين[٨٠]، أمَّا الرحَّالة الأجانب، مثل (ميشولام)، فقال عنها: يوجد ثلاث حجرات لكنزٍ عظيم وهي الأهرامات، ولم أشاهد في ضخامتها حتَّى في روما[٨١]، أمَّا الفارس الألماني هارف فأطلق على الأهرامات (بيوت فرعون)[٨٢]، أمَّا السفير البندقي دومنيكو فقال: هي (جبال فرعون)[٨٣].

نيل مصر

لم يكن العبدري مختلفاً عن غيرهِ في وصفهِ وإعجابه، ومدى انبهارهِ بنيل مصر، حيث قال فيه: «ونيلها من عجائب الدنيا عذوبةً، واتساعاً، وغلَّةً، وانتفاعاً، وقد وضعت عليه المدائن والقرى، فصار كسلكٍ انتظم دُرراً»، وبدأ العبدري يسرد أحاديث الرسول (ﷺ) التي ذكر فيها اسم نهر النيل، ولم يكتفِ بذلك بل ذكر أقوال السَّلف الصالح والمؤرِّخين في نهر النيل، وأشار العبدري لوفاء منسوب نهر النيل، حيث قال: «إذا انتهت الزيادة ستة عشر ذراعاً تمَّ خراج السلطان... فإذا بلغ سبعة عشر، فذلك الخصب العام، والصلاح التام، فإذا بلغ ثمانية عشر أضرَّ بالضياع، وأعقب الوباء بمصر»، وبدأ بشرح شكل النيل في سريانهِ، وفروعهِ[٨٤].

وهو هنا يتفق مع ما أورده العديد من الرحَّالة

والمؤرخين في رؤيتهم لنهر النيل، حيث قال ابن بطوطة (٧٠٣-٧٧٩هـ/ ١٣٠٤-١٣٧٧م) فيه: «هو أفضل أنهار الدنيا عذوبةً، وليس في الأرض نهر يُسمَّى بحراً غيره»[٨٥]، وأيَّد (بيلوتي) هذا الرأي بأنَّ نهر النيل «أعذب مياه الدنيا» لدرجة أنَّ الناس تُسمِّيه بحراً[٨٦]، بينما ابن الوزَّان قال: «إنَّ النيل على مسافة ثمانين ميلاً في عالية القاهرة، وينقسم إلى فرعين... وكلَّ أقاليم مصر هي عبارة عن سهلٍ خصيب بالغِلال، والخضر، وتملك مراعي ممتازة للمواشي»[٨٧]، بينما قال هيرودوت Herodotus (٤٨٤-٤٢٥ق.م.) مؤرِّخ الزمن البعيد وأبو المؤرخين: «إنَّ مصر هبة النيل»[٨٨].

وأمَّا ابن زولاق، فقال: «وأمَّا النيل وعظيم شأنه ومنافعه، فقد عَمِلت في ذلك كتاباً، وقد انتشر (وأشار) ينفع ما لا ينفع نهر، ويوفر من العِمارات، والأموال ما لا يُعلم في نهر»، وأورد العديد من أحاديث رسولنا الكريم، والسَّلف الصالح ما يدل على ذلك[٨٩]، وقال ابن الكندي: «أجمع أهل العِلم أنَّه ليس في الدنيا نهر أطول مدىً من النيل... وليس في الدنيا نهرٌ يصب من الجنوب إلى الشمال إلَّا هو... ولا يُجبى من خراج نهرٍ من أنهار الدنيا ما يُجبى من خراج النيل»[٩٠]، وقد أورد شيخ المؤرِّخين المقريزي فصلاً كاملاً في كتابهِ عن فضائل النيل ومخرج النيل، وزيادته، وما قيل فيه من مدحٍ وذم، وعجائبه، وغير ذلك[٩١]. وتدل كلَّ هذهِ الآراء على الأهمية البالغة لنهر النيل العظيم، ومدى نفعه لمصر وشعبها، وما يدره من ربحٍ ينفع بهِ اقتصاد البلاد بدايةً من الزراعة وحتَّى التجارة.

أمَّا بالنسبة لمنسوب نهر النيل، فقد ارتبط بأمورٍ بين الزيادة والنقصان، فقد اختلف المؤرِّخون حسب كلِّ زمن، وتراكم الطَّمي، وترسب الطين المحمول مع الماء في كلِّ عام؛ ممَّا أدى لارتفاع منسوب الأرض ممَّا يتطلَّب ارتفاع في منسوب فيضان النيل حتَّى يمكن الرَّي الكامل، فقد أشار الرحَّالة ابن بطوطة أنَّ النيل إذا بلغ زيادته ستَّ عشرة ذراعاً تمَّ خراج السلطان، وإذا زاد ذراع كان الصلاح التام، أمَّا إذا بلغ ثماني عشرة ذراعاً أضرَّ بالضياع[٩٢]، أمَّا القلقشندي المتوفَّى عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م فقد أكَّد أنَّ لولا زيادة النيل الذي «صار يتجاوز تسعة عشر ذراعاً» بل وفوق العشرين لتعطَّل زراعة أكثر الأراضي[٩٣]، كما أكَّد المقريزي على ذلك بعد عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م، بقولهِ: «إذا بلغ الماء في سنة أصبع من عشرين لا يعُمر الأرض كلَّها، لِما قد فسد من الجسور»[٩٤]، وربما اتفق معه الرحَّالة (ميشولام)، حيث أشار أنَّه إذا بلغ الماء ثماني عشرة فإنَّ الفيضان متوسط، وعشرين هو الماء الوفير[٩٥].

مزارات مصر

لقد عدَّد العبدري مزارات مصر، بقولهِ: «ومن أعظمها تُربةً رأس الحُسين، وروضة السيدة الشريفة نفيسة»، وقد قام العبدري بشرحٍ وافٍ لها[٩٦]، وربما يكون قد اختلط الأمر على العبدري حيث ذكر المقريزي بوجود مشهد رأس زيد بن علي المعروف بزين العابدين بن الحُسين، وهذا المشهد بين الجامع الطولوني، ومدينة مصر، ولم يرد ذكره نهائياً لمشهد رأس الحُسين، وقد ذكر مشهد السيدة نفيسة ابنة الحسن[٩٧]، وقد أشار ليون الأفريقي أيضاً لها، بقولهِ: «يوجد قبر السيدة المبجَّلة جداً لدى المسلمين، وهي السيدة نفيسة»[٩٨]. وبدأ العبدري بعد ذلك في ذكر مزارات قرافة مصر كأئمَّة المذاهب، مثل تربة الإمام الشافعي، وبدأ يتعجَّب في بنائها، وقد عدَّد بعد ذلك قبور العلماء

والصلحاء[٩٩]، وأشار المقريزي أيضاً لمزارات قرافة مصر، وأفرد لها فصل، وهذا بخلاف ذكره لتربة الإمام الشافعي، وقبور العلماء والأولياء[١٠٠].

رؤيته لرجال الدولة

لقد كان للعبدري رأيٌ خاص في حكَّام الدولة، فكان دائماً يذم حكام الدولة الفاطمية، وتكرر هذا في أكثر من موضعٍ في رحلتهِ، فقال عنهم: «وحق لمدينة وضع أساسها عبد الزنادقة غلام بني عبيد - لعنهم الله - أنْ تجمع أخلاق العبيد وأحوال الزنادقة»[١٠١]، وفي موضعٍ آخر عندما سأل عن المعزية، فقيل له: «هي مدينة القاهرة، بناها المُعز العُبيدي - لعنهُ الله - وسمَّاها بذلك، فكان العلماء يتحرجون من ذكر هذا الاسم، فينسبونها إليه، المعزية. قلت: والتحرج في ذكر المُعز أحق، وأرى أنْ يُقال عنها: قاعدة ديار مصر أو مدينتها... ممَّا تُعرف بهِ»[١٠٢]، وفي موضعٍ آخر قال عن القاهرة: «صارت اليوم المدينة التي بناها العبيديون»[١٠٣]. نلاحظ أنَّ العبدري عندما يتحدث عن حكَّام الدولة الفاطمية يُقلِّل من شأنهم، فنجده يصفهم دائماً بالعبيد نسبةً لقائدهم جوهر الصقلي الذي أشرف على بنائها.

ولم يكتفِ بذلك، بل كرر كلمة (العبيديين) في موقعٍ آخر من رحلتهِ، وأشار أنَّهم ادعوا انتماءهم إلى البيت الشريف، حيث قال: «فلما تمكنوا جاهروا بكلِّ كفرٍ، وظاهروا بكلِّ إلحاد، وبقوا مع ذلك متمسكين بأصل دعواهم في انتسابهم إلى أهل البيت، حتَّى أباد الله غضراءهم»[١٠٤]، فقد تعمد إهانتهم عند ذكرهم، والتقليل من شأنهم بكلِّ شكلٍ يُذكر.

وإنْ كان العبدري قد ذمَّ حكَّام الدولة الفاطمية، فإنَّه على النقيض تماماً في حديثهِ عن حكَّام دولة سلاطين المماليك، فقد نسب لهم كلَّ شيءٍ جميل في مصر والقاهرة. فمثلاً أعطاهم فضل الاهتمام بالمساجد بعد أنْ أهملها المجتمع المصري، فقال: «لولا لطف الله في تملُّك الأتراك لهم ما أمكن المقام بها مسلماً ولكن ملوكهم أهل دين، وعقائد سليمة، وشفقة، وحنان على المسلمين، وتفضل على الفقراء، وحُسن ظنٍّ بأهل الدين، وهم ركن الإسلام - نفعهم الله وأحسن عونهم - وقد رأيت من خدمتهم للرَّكب واحتياطهم وصبرهم، وحسن محاولتهم، ما تعجبت منهُ»[١٠٥]، وقد أشاد بدور المماليك في حِفظ المزارات الشريفة، وقال عنهم: «حفظ الله أمراء التُّرك بمصر، فما أحماهم للدين وأحنَّهم على المسلمين، وأحبَّهم في الغريب»[١٠٦]، ولا شكَّ أنَّ الثناء على المماليك مرجعه أنَّ المماليك من أهل السُّنَّة، بينما كان الفاطميون شيعةً ضدَّ مذهب العبدري.

وأخيراً كان لا بدَّ أنْ نعرض انتقاد العبدري للمُجتمع المصري ورؤيته للسلبيات من وجهة نظرهِ الحادة في المجتمع المصري بشكلٍ عام.

انتقاده للمُجتمع المصري

يُعد العبدري الرحَّالة الوحيد الذي هجا أهل القاهرة بشكلٍ لاذع، ومبالغ فيه، ودون إنصاف، فقد جمع فيهم كلَّ الصفات الذميمة لأهل الأرض من خلال بعض الكلمات اللاذعة، مثل: حثالة، ووعاء، ونفاق، وإلحاد، وحسد، وغش، وأبخل، وأذل، وفحش، وأرذل، ولؤماً، وأضغن، وأوسخ، وخيانة، وسرقة، وقساوة، وأجفى، وأحمقهم، وأخلاق عبيد، وغيرها من الصفات الذميمة[١٠٧]. وهذا على سبيل المثال، بما يدل على إساءتهِ لأهل

مصر بشكلٍ بهِ تحاملٌ كبير.

ومن ضمن أقوالهِ في أهل القاهرة: «حسبها شراً أنَّها جرين لحثالة العباد، ووعاء لنفاية البلاد، ومستقر لكلِّ مَن يسعى في الأرض بالفساد... استولى الحسد على قلوبهم، واستوى الغش في جيوبهم... فهي سوقٌ ينصب بها الشيطان رايته، ويُجري إليها غايته... وعالمهم أجهل من فراش، ورفيعهم أوضع من خشاش... وجميلهم أقبح من غول... وعزيزهم أذلَّ من سائل... على السلطان وقفت آمال العالم منهم والمتعلِّم، وعلى اقتناص دراهمهِ يحوم الزاهد والفقيه، والمُحدِّث والمتكلِّم... ودينهم بهِ مرض، وسهم الرياء بينهم يرشق كلَّ غرض»[١٠٨].

وفي موضعٍ آخر قال: «رأيت فيهم قلَّة الحياء... ولا بأفريقية، وأرض برقة، والحجاز، والشام فريقاً من الناس أرذل أخلاقاً وأكثر لؤماً وحسداً، ومهانة نفوس، وأضغن قلوباً، وأوسخ أعراضاً، وأشدُّ دمامةً، وخيانةً وسرقةً وقساوة، وأجفى للغريب من أهل هذهِ المدينة المؤسَّسة على غير التقوى... وحكي فيه أيضاً أنَّ أبا دلامة جاء إلى مصر ثمَّ رجع فسُئل عنها، فقال: ثلثها كلاب، وثلثها تراب، وثلثها دواب. فقيل له: فأين الناس؟ فقال: في الثلث الأول»[١٠٩]. والقارئ لكتابات الرحَّالة الأوربيين أنفسهم عن القاهرة يجد إنصاف عمَّا أورده العبدري في حقِّ أهل مصر، ولا نعلم لِمَا ذلك، أو دوافعه.

وربما من المفيد أنْ نذكر بعض آراء الرحَّالة المسلمين الآخرين فيما يخص حديثهم عن أهل مصر، فنجد ابن ظهيرة في القرن السابع الهجري، يصف أهل مصر، فيقول: «العالم مشغولٌ بعلمهِ، والعابد بعبادتهِ... وكلَّ ذي صنعةٍ بصنعتهِ»[١١٠]، وقال الإدريسي (٤٩٣-٥٥٩هـ/ ١١٠٠-١١٦٦م): «لأهلها همٌ سامية، ونفوسٌ نقية عالية (وأضاف ابن سعيد) يوفون بالعهد يؤدون الأمانة»[١١١]، وقد وصف الرحَّالة الفرنسي دي مونكوتي أهل مصر، عندما زارها عام ١٠٥٦هـ/ ١٦٤٦م، بأنَّهم لا يحملون ضغينةً لأحد، وينفذون العدالة والقضاء، فالمصريون كما قال نابليون: أمةً وديعة تحافظ على كبريائها[١١٢]، وقد قال القاضي الفاضل فيهم: «أهل مصر على كثرة عددهم... مساكين يعملون في البحر، ومجاهيد يدأبون في البر»[١١٣]، بينما قال ليون الأفريقي: «سكَّان القاهرة أُناس لطفاء ومرحون، وهم لا يبخلون بالكلمات الطيبة... وينصرف كثيرٌ منهم لدراسة الشريعة... ولأهل القاهرة هندامٌ حَسَن»[١١٤].

العبدري ودور العبادة

تُعد دور العبادة والاهتمام بها الواجهة الأساسية للحكَّام من أجل التقرب للمُجتمع بشكلٍ عام، ورجال الدين - أصحاب التأثير على المجتمع - بشكلٍ خاص، ولذا كانت رؤية الرحَّالة العبدري لعلاقة المجتمع المصري بشكلٍ عام لدور العبادة بها تسرع، حيث قال: «من الغرائب عندهم تضييع المساجد، والجوامع، وإهمالها... حتَّى تصير مثل المزابل وتسْوَد حصرها وحيطانها من الأوساخ... فلا يأتي من مصلِّيهم شخص إلَّا بحصيرٍ أو ثوبٍ يُصلِّي عليه»، فقد ظلم أهل مصر في قولهِ، وأعاد الفضل في أيِّ اهتمامٍ للمساجد والجوامع إلى الحكَّام ورجال دولة سلاطين المماليك، بقولهِ: «لولا لطف الله في تملُّك الأتراك

لهم ما أمكن المقام بها مسلماً»[١١٥]، ورغم اهتمام رجال الدولة بدور العبادة ووجود نهضةٍ دينيَّةٍ واسعة إلَّا أنَّ الهدف الأساسي وراء ذلك كان الواجهة الدينية[١١٦]، أمَّا المجتمع المصري فقد ظُلم في ادعاء العبدري بتضييع وإهمال مساجد وجوامع مصر.

فقد ثبت لدولة سلاطين المماليك أنَّ قوتهم، وانتصاراتهم في موقعة المنصورة ضدَّ الصليبيين، وعين جالوت ضدَّ التتار لم تكن لتشفع لهم في أنْ يحكموا الديار المصرية[١١٧]، فكانت الواجهة الدينيَّة مثل إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م هو أحد الحلول[١١٨].

وكان الاهتمام بإقامة المنشآت الدينية هو أحد الحلول لإكمال نصاب الواجهة الدينية، وهذا ما يهمنا هنا، فقد أكثر المماليك من بناء المنشآت الدينية مثل الجوامع، والمساجد، والخنقاوات لإثراء الحياة الدينية والعلمية تخليداً لذكراهم، وتقرباً أكثر للعلماء والمجتمع المصري، وقد تسابق السلاطين في بنائها لتكون معدومةً المثل المفروشة بالرخام، وغير ذلك، ومن أمثال ذلك ما قام بهِ السلطان الظاهر بيبرس – الذي كان صاحب أول فكر وتطور وتغير في مصر – ففي عام ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م جدَّد عِمارة جوامع الأزهر، وأحمد بن طولون، وعمرو بن العاص، والحاكم، وعهد السلطان الناصر مُحَمَّد عام ٧١٧هـ/ ١٣١٧م شرع في عِمارة الجامع الذي بالقلعة، وزخرفته بالرخام الملون، وغير ذلك من التجهيزات، وبنى أمراؤه وكتَّابه في أيامهِ نحو ثلاثين جامعاً[١١٩].

وكان رأي الرحَّالة أصدق شهادة من أصحاب البلاد «مائة وسبعة وسبعون ألف محراب في أيام الأيوبيين والتركمانيين... وأمَّا المحاريب العامرة فمحفوظة الأوقاف حتَّى اليوم، فعددها ستة وأربعون ألفاً»، ورغم مبالغة العدد إلَّا أنَّه يدل على الاهتمام بإقامة المنشآت الدينية، وعموماً علَّق أحد الباحثين على ذلك بأنَّ المؤسَّسات الدينية كانت كثيرة في عهد المماليك البحرية[١٢٠]، وفي بناء المدارس، والمكاتب، والسُّبُل، قال أحد أهم الرحَّالة بمصر، ابن خلدون: إنَّ أهل الدولة التركية معنيون «بإنشاء المدارس لتدريس العِلم، والخوانق... فيختطُّون مبانيها ويقفون الأراضي المغلَّة للإنفاق منها على طلبة العِلم... واقتدى بسُنَّتهم في ذلك مَن تحت أيديهم من أهل الرياسة والثروة، فكثُرت لذلك المدارس والخوانق بمدينة القاهرة»، فقد ذكر صاحب كتاب (سياحة نامه) أنَّ بالقاهرة ألفين وخمسة عشر كُتَّاباً، ولها أوقاف دائمة وعدد الأسبلة أربعون ألف سبيل[١٢١]، وقد أثارت كثرة المساجد دهشة الرحَّالة الأجانب، فقال بريدنباخ Bernhard von Breidenbach (١٤٤٠-١٤٩٧م): «روما غير موجود بها هذا العدد من الكنائس»[١٢٢]، أمَّا (فابري) فقد ذكر أنَّ بالقاهرة ستين ألف مسجد بقبابها، منها أربعة وعشرون ألف مسجد بناها الأهالي، وربما يقصد الزوايا والتكايا والخوانق التي انتشرت في العصر المملوكي[١٢٣]، أمَّا جوس جيستل، فقال: «يوجد بهذهِ المدينة عشرة آلاف مسجد بمآذنها، يعلوها هلالٌ مذهَّب»، أمَّا الفارس الألماني فقد أحصى مساجد القاهرة بنفسهِ، وبلغت «ستة وثلاثون ألف مسجد»[١٢٤]، وهذا ما جعل الرحَّالة الفرنسي جاثينو، الذي زار مصر عصر الغوري، يقول: «ما من سلطان مملوكي يتولَّى الحكم إلَّا ويعمل مسجد

يحمل اسمه»[١٢٥]، وربما نلاحظ المبالغة الكبيرة في الإحصاء والأرقام الواردة من بعض الرحَّالة الأجانب، ولكن هذا دليل على كثرة المساجد ودور العبادة.

أمَّا رجال الدين فحدِّث ولا حرَج عنهم، فقد تمتعت مصر في دولة سلاطين المماليك، وبالأخص في أول عهدها، برجالٍ وقفوا في وجه حكَّام الدولة، أمثال العز بن عبد السلام الذي رفض جمع المال من الشعب بأمر السلطان سيف الدين قطز لأجل محاربة التتار عام ٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م، إلَّا إذا نفذت خزائن الدولة، والأمراء، والمماليك، وأفتى أنَّه لا يجوز أخذ أموال من الرعية دون وجه حقٍّ، لدرجة أنَّه عندما توفِّي هذا العالم الجليل عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م، قال بيبرس: «ما استقر ملكي إلَّا الآن»، حيث قال: إنَّ ابن عبد السلام لو أمر الناس في شأني بما أراد لبادروا إلى امتثال أمرهِ، فكان الشيخ ينهاه عن المظالم[١٢٦]، وفي عام ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م أراد النائب (منكوتمر) من قاضي القضاة تقي الدين الاستيلاء على مال تاجرٍ متوفٍّ وادعى أنَّ ليس له ورثة، وأرسل مَن يدَّعي أنَّه أخوه فرفض القاضي ذلك، وقال للقضاة: أُشهدكم أني عزلت نفسي، وعندما علم السلطان ذلك عنَّف نائبه منكوتمر، وأعاد تقي الدين لمنصبهِ[١٢٧]، والعجيب في الأمر أنَّ العبدري لم يُعْطِ هذهِ الأمور نصيبها من الذكر.

العبدري والسوق

يبدو أنَّ العبدري قد أقام بالمدرسة الكاملية، وهي بخطٍّ بين القصرين من القاهرة، وقد أنشأها السلطان الملك الكامل بن العادل عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م، وقد وقفها «على المشتغلين بالحديث النبوي، ثمَّ من بعدهم على الفقهاء الشافعية، ووقف عليها الربع الذي بجوارها على باب الخرنفش، ويمتد إلى الدَّرب المقابل للجامع الأقمر»[١٢٨]. المهم في الأمر أنَّ هذا المكان كان يمتلئ بالباعة والسوقة، وهذا ما أثار ضجر العبدري الذي كان مقيماً بالقرب منهم، فقال: «قلَّما أرقد منغصاً لصياح الباعة؛ وهم يبيعون طوال الليل... والزحام متصل، والطرق غاصَّة بالخلق... يندفعون فيها مثل اندفاع السيل. وقد ضاعت لي بها دابة بسبب الزحام»، وأشار لأنَّ الناس يخرجون من منازلهم لشراء عشاءهم من السوق الذي لو تعذر عليهم لماتوا جميعاً من الجوع لعدم وجود أكل، بالإضافة للعادات السيئة من العامة والأكابر كالأكل بالسوق والطرق[١٢٩]. بينما أورد الرحَّالة رؤيتهم بكثرة عدد الحوانيت[١٣٠]، وهذا بخلاف ذكرهم للعديد من الأسواق، مثل: أسواق الذهب، والفضة، والعطور، والأقمشة، والتوابل، وغيرها. وكذلك الأمر بالنسبة لكلِّ سلعةٍ مع السلع الأخرى لها سوقٌ خاص بها[١٣١]، أمَّا (ميشولام) فأشار لوجود أكثر من ألف مخزنٍ في كلِّ فندقٍ بهِ أنواع السلع المختلفة حتَّى أبسط الأشياء[١٣٢]، نعود للعبدري الذي أورد قول الشيوخ عن الصحابة على رسول الله (ﷺ): «الأكل في السوق دناءة»، وأورد حديثٌ آخر قُدسي يُشير إلى أنَّ الدين الإسلامي «لن يُصلحه إلَّا السَّخاء والخُلُق الحسَن»[١٣٣].

فقد تحول العبدري من رحَّالةٍ يصف المشاهد، وحال المجتمع المصري إلى مُصلحٍ اجتماعي. ينقد ويُعنِّف، وكأنَّه جاء من مجتمعٍ بلا أخطاء، وتجاهل أنَّه يسكن في وسط سوقٍ غاصٍّ بالخلق والسوقة والبيَّاعين، فلم يكن منصفاً في رأيهِ أو نقدهِ بقدر ما كان تأثير إزعاج السوقة لراحتهِ، بالإضافة لسرقة دابته وسط الزحام وإلَّا ما كان ليذكرها[١٣٤].

وعلى أيَّة حال، كانت هذهِ أبرز الصور الخاصة بمدينة القاهرة كما جاءت في رحلة المغربي العبدري، وحاولنا بقدر الإمكان أنْ نأتي بأقوالٍ مقارنة من رحلاتٍ أخرى جاءت للقاهرة، وترك أصحابها أوصافاً للبلاد، والعباد.

أهم نتائج البحث:

• الرحلة هي عبارة عن لقطة أو صورة من وجهة نظر صاحب الرحلة أو الرحَّالة، وتدخل في ذلك الأهواء والميول، فليس كلَّ ما يره الرحَّالة ويدونه في كتاباتهِ ينم عن واقع المجتمع الذي خالطهم أو المكان الذي وصفه، فقد يكون هناك عوامل قد تؤثر على كتاباته.

• ظهر لنا أنَّ الرحَّالة العبدري كان قد تأثر بكثيرٍ من أحداث وعوامل أثرت عليه أثناء الرحلة، رغم تنوع ثقافاتهِ، وتناوله للعديد من فنون العِلم، وظهر هذا من خلال وصفهِ الدقيق لكلِّ ما هو سلبي سواءٌ في صفات المجتمع المصري أو حكَّامها.

• تبيَّن من خلال آراء العديد من الرحَّالة العرب والغربيين، مدى رونق، وبهاء، وعظمة مدينة القاهرة الساحرة الباهرة، وبمقدار هذا السحر كان عدد سكَّانها الذي شبَّهه رحَّالتنا العبدري بعدد الرمل، وقد ساعد ذلك على وجود نهضة صناعية في ذلك العصر.

• اتضح من خلال كتابات العبدري عن القاهرة وأهلها، أنَّ مصر ستظل منارة العِلم، والعلماء، وذلك من خلال لقائهِ بالشيخ شرف الدين الدمياطي، وابن دقيق العيد، ومدى انبهاره بهم، وبعلمهم.

• نرى إعجاب العبدري بآثار مصر مثل الأهرام، شارحاً بعض تفاصيلها من حيث البناء، والإعجاز الذي بها، وقد اتفق معه العديد من المؤرِّخين، والرحَّالة العرب والغربيين.

• لم يقدم العبدري جديداً عندما أشار

لإعجابهِ بنيل مصر، فقد أفرد له مساحةً لا بأس بها من كتاباتهِ، ولم يختلف معه المؤرِّخين والرحَّالة، فقد أجمعوا على مدى أهمية نيل مصر لشعبها، واقتصادها.

• ظهر لنا إسقاط مذهبه السُّنِّي على تقييمه للحكَّام، فكان دائماً يذم حكَّام الدولة الفاطمية، وربما يرجع ذلك لمذهبهم الشيعي، دون أنْ يتطرق لسلبيات وإيجابيات حكَّام كلِّ دولةٍ بشكلٍ علمي، ومنطقي، ومقنع، فقد أبدى احترامه لحكَّام دولة سلاطين المماليك؛ فأسند لهم الاهتمام بدور العبادة التي أشار لدور أهل القاهرة في إهمالها.

• تبيَّن لنا مدى كراهية الرحَّالة العبدري للمُجتمع المصري من خلال وصفهِ للمُجتمع بأذمِّ الصفات، وربما ذلك راجع بتأثره ببعض الأفعال التي جرت له أثناء تواجده بمصر من أهلها بشكلٍ عام، فقد كان سليط اللسان خالٍ من الحياء، ولم يكن منصفاً لمجتمع وبلداً أشاد بها رحَّالة ومؤرِّخو الغرب قبل الشرق، وعموماً فقد طالت كلماته البذيئة أغلب البلاد، والمدن التي زارها خلال رحلتهِ.

وكلَّ ذلك يُبيِّن مدى أهمية رحلة العبدري في دراسة التاريخ الاجتماعي.

الهوامش:

(١) حسين مؤنس، **أدب الرحلات**، (القاهرة: مكتبة لبنان، ١٩٩١م)، ص١؛ حسين محمد فهيم، **أدب الرحلات**، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٩م)، ص١٩؛ حسني محمود حسين، **أدب الرحلة عند العرب**، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٦م)، ص٤.

(٢) قاسم عبده قاسم، **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي**، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٤م)، ص٢٣ وما بعدها؛ **عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي**، (القاهرة: دار عين، ٢٠٠٧م)، ص٢٠٢.

(٣) أبو عبد الله مُحَمَّد العبدري، **رحلة العبدري**، تحقيق: علي إبراهيم الكردي، ط٢، (دمشق: دار سعد الدين، ٢٠٠٥م)، ص٧.

(٤) مُحَمَّد الفاسي، مقال: **الرحلة الشهيرة أبو عبد الله مُحَمَّد العبدري**، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلَّدان التاسع والعاشر، مدريد، ١٩٦١-١٩٦٢م، ص٣.

(٥) العبدري، مصدر سابق، ص٧.

(٦) علي عبد الله الدفَّاع، **روَّاد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية**، ط٢، (الرياض: مكتبة التوبة، ١٩٩٣م)، ص١٩٢.

(٧) العبدري، مصدر سابق، ص٧-٨.

(٨) المصدر نفسه، ص٨.

(٩) علي عبد الله الدفَّاع، مرجع سابق، ص١٩٢.

(١٠) العبدري، مصدر سابق، ص٨.

(١١) المصدر نفسه، ص٩.

(١٢) المصدر نفسه، ص١٠، ص٣٩١-٣٩٢.

(١٣) المصدر نفسه، ص١٨٤-١٨٥.

(١٤) المصدر نفسه، ص٢٧٦-٢٧٨، ص٢٨٩-٢٩١، ص٢٩٩-٣٠٢.

(١٥) المصدر نفسه، ص١٠-١١.

(١٦) المصدر نفسه، ص١٢-١٣، ص٢٨١.

(١٧) المصدر نفسه، ص٢٧٦-٢٨١، ص٣٠٤-٣١٦.

(١٨) المصدر نفسه، ص١٤.

(١٩) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن مُحَمَّد (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، المعروف بـ(الخطط المقريزية)، (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٦م)، ج٢، ص١٥٧؛ عدنان محمد فايز الحارثي، **عِمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩هـ/ ١١٦٨-١١١٩م)**، (القاهرة: ١٩٩٩م)، ص٤٣-٤٤.

(٢٠) المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٧٩؛ المقدسي، أبو عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشاري (ت٣٨٠هـ/ ٩٤٧م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٣، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩١م)، ص٢٠٠؛ أبو حامد المقدسي، محب الدين مُحَمَّد بن أحمد، **الفوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمَّة الأربعة الزاهرة**، تحقيق: آمال العمري، مشروع المائة كتاب، ع١٠، (القاهرة: طبعة هيئة الآثار، ١٩٨٨م)، ص١٢.

(٢١) ناصر خسرو (ت٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)، **رحلة سفر نامه**، ترجمة: يحيى الخشَّاب، تقديم: عبد الوهاب عزَّام، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣م)، ص١٠٢.

(٢٢) أندريه ريمون، **القاهرة.. تاريخ حاضرة**، ترجمة: لطيف فرج، (القاهرة: دار الفكر للدراسات، ١٩٩٣م)، ص٩٥.

(٢٣) المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص٩٥، ص١٨٠.

(٢٤) ألبيير جبريل وعلي بهجت بك، **حفريات الفسطاط**، ترجمة: علي بهجت، (القاهرة: دار الكتب، ١٩٨٢م)، ص١٣.

(٢٥) المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٣٧. ولمزيدٍ من التفاصيل عن الشدَّة المستنصرية ومجاعة عام ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م، بالإضافة لفتنة العبيد، والجُند الأتراك، وتحكم أم المستنصر بأمور الدولة حتَّى دخل أمير الجيوش بدر الجمالي مصر، وسمح للناس بالبناء في القاهرة ممَّا خلا من دور الفسطاط بموت أهلها. يُنظر: المقريزي، **الخطط**، ج١، ص٦، ج٢، ص١٣٧-١٤١؛ **إغاثة الأمة بكشف الغمَّة**، تحقيق: ياسر سيد صالحين، (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٩م)، ص١٤، ص١٩-٢٢؛ علي باشا مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، (القاهرة: طبعة بولاق، ١٣٠٥هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م)، ج١، ص٣٢، ج٣، ص٢٦١؛ سعاد ماهر، **القاهرة القديمة وأحياؤها**، (القاهرة: دار القلم، ١٩٦٢م)، ص٣٢.

(٢٦) المقريزي، **الخطط**، ج٢، ص٩٠.

(٢٧) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٨؛ علي مبارك، مرجع سابق، ج٣، ص٥٨؛ آدم فرانسوا جومار Edme-François Jomard (١٧٧٧-١٨٦٢م)، **وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل**، ترجمة: أيمن فؤاد سيد، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م)، ص٧٦.

(٢٨) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَمَّد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، **تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)**، قدَّمه: عبادة كحيلة، ع١٥٣-١٥٩، (القاهرة: هيئة قصور الثقافة، ٢٠٠٧)، ج١، ص٣٤٠؛ المقريزي، مصدر سابق، ج٣، ص٣٦؛ علي إبراهيم حسن، **مصر في العصور الوسطى: من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٧م)، ص٤٢٥؛ أيمن فؤاد سيد، **التطور العِمراني لمدينة القاهرة**، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦م)، ص٣٧.

(٢٩) المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٣٧، ج٤، ص١٣؛ ألبيير جبريل، مرجع سابق، ص١٤.

(٣٠) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن مُحَمَّد الخضيري (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، **حُسن**

المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (القاهرة: طبعة الموسوعات، ١٣٢١هـ)، ج٢، ص٢٠؛ أبو حامد المقدسي، مصدر سابق، ص١٣؛ ابن إياس، زين العابدين مُحَمَّد بن أحمد (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، **كتاب تاريخ مصر المشهور بـ(بدائع الزهور في وقائع الدهور)**، تحقيق: محمد مصطفى، ط٢، (القاهرة: دار الكتب، ٢٠٠٨م)، ج١، ق١، ص٢٣٢؛ محمود سعيد عِمران، **تاريخ الحروب الصليبية**، (القاهرة: دار المعرفة الجماعية، ٢٠٠٧م)، ص١١١.

(٣١) أبو شامة، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد ومحمد مصطفى زيادة، سلسلة تراثنا، ع٢٣٢، (القاهرة: الموسوعة المصرية العامة، ١٩٦٢م)، ج١، ق٢، ص٤٣٢-٤٣٣؛ ابن خلدون، مصدر سابق، ج٥، ص٢٠٨؛ عز الدين المقدسي، **المفاخرة الباهرة بين عرائس متنزهات القاهرة**، تحقيق: محمد الششتاوي، (القاهرة: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ص١٢٤؛ المقريزي، **الخطط**، ج٢، ص١٤٣، ج٤، ص١٣.

(٣٢) ابن خلدون، مصدر سابق، ج٥، ص٢٨١؛ المقريزي، مصدر سابق، ج٥، ص٢٨١.

(٣٣) الأصفهاني، أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حامد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، (القاهرة: دار المنار، ٢٠٠٤م)، ص٢٩؛ السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، (القاهرة: الفجَّالة، ١٩٦٩م)، ص٤٤٤؛ ابن إياس، مصدر سابق، ج١، ق١، ص٢٣٥.

(٣٤) ابن سعيد، أبو الحسن علي الأندلسي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٧٤م)، **النجوم الزاهرة في حُلي حضرة القاهرة**، القسم الخاص بالقاهرة، تحقيق: حسين نصَّار، (القاهرة: دار الكتب، ١٩٧٠م)، ص٢٥؛ المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٨٤. لمزيدٍ من التفاصيل عن جعل صلاح الدين القاهرة سكناً للعامة، يُنظر: المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٤٤، ج٤، ص١٤؛ أبو حامد المقدسي، **الفوائد النفيسة**، ص١٣-٢١؛ عدنان فايز، مرجع سابق، ص٢٢٦.

(٣٥) البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م)، **الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**، ط٢، الألف كتاب الثاني، ع٣١٤، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٨م)، ص٩٠؛ ابن واصل، جمال الدين مُحَمَّد بن سالم (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين الشيَّال، عصر صلاح الدين، (القاهرة: الطبعة الأميرية، ١٩٥٧م)، ج٢، ص٥٢-٥٣.

(٣٦) ابن جبير، مُحَمَّد بن أحمد الكناني (ت٦١٣هـ/ ١٢١٧م)، **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف بـ(رحلة ابن جبير)**، ضبطه: محمد زينهم محمد عزب، ذخائر العرب، ع٧٧، (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٠م)، ص٢٣؛ ابن واصل، مصدر سابق، ج٢، ص٦٧؛ القزويني، زكريا بن مُحَمَّد بن محمود (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٤م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، (القاهرة: هيئة قصور الثقافة، ٢٠٠٣م)، ج١، ص٢٤٠. لمزيدٍ من التفاصيل عن سور القاهرة، يُنظر: ابن واصل، مصدر سابق، ج٢، ص٥٢-٥٣؛ ناصر خسرو، مصدر سابق، ص١٠٨؛ المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٠٤-٢٠٨؛ أبو حامد المقدسي، مصدر سابق، ص١٢؛ علي إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص٤٣٩؛ بول كازنوفا، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**، ترجمة: أحمد دراج، مراجعة: جمال محرز، المكتبة العربية، ع١٤٤، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٤م)، ص٤٩.

(٣٧) عمر طوسون، **مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن**، ط٢، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م)، ص١٦٣.

(٣٨) المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٨٥.

(٣٩) بول كازنوفا، مرجع سابق، ص٢١؛ سحر السيد إبراهيم، **الهجرات وتطور مدينة القاهرة عصر سلاطين المماليك**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلِّية الآداب،

جامعة الزقازيق، ٢٠٠١م، ص٤٠٣.

(٤٠) المقريزي، مصدر سابق، ج٤، ص٨٧.

(٤١) المصدر نفسه، ج٤، ص٩١.

(٤٢) خالد عزب، **الفسطاط.. النشأة، الازدهار، الانحسار**، سلسلة مدن تراثية، ع١، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٨م)، ص٦١.

(٤٣) ألبيير جبريل، مرجع سابق، ص١٧-١٨؛ خالد عزب، مرجع سابق، ص٧٨.

(٤٤) العبدري، مصدر سابق، ص٢٧٤-٢٧٥.

(45) Joos Van Ghistele, *voyage en egypte (1842-1483)*, (ed.) Bauewns, (BRUXELLE), 1976, p.16-18.

(46) Dopp, *Le caire vu par les voyageurs accident du moyen ages*, tom. 24-26, le caire, 1951, p.28.

(47) Harff, *The Pilgremage of Arnold Von Harff 1496-1499*, (ed.) M. lettes, London: 1946; Palern, Jeam, *Le Voayage en Egypte 1581*, Le Caire: 1970, p.112.

(49) Domenioco trevsani, *le voyage, D'autre mere d'egypte 1521*, (ed.) schefer, Paris: 1864, p.208.

(٥٠) بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين التطيلي**، ترجمة: عزرا حداد، دراسة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، (الإمارات: المجتمع الثقافي / دار العلوم، ٢٠٠٢م)، ص٣٥١؛ المقريزي، مصدر سابق، ج٣، ص٣١-١٦٣.

(٥١) ابن سعيد، **المغرب في حُلي المغرب**، القسم خاص بمصر، تحقيق: زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيدة كاشف، سلسلة الذخائر، ع٨٩، (القاهرة: هيئة قصور الثقافة، ٢٠٠٣م(، ج١، ص١١.

(٥٢) المقريزي، مصدر سابق، ج٣، ص٣١.

(٥٣) الأصفهاني، **الفتح القسي**، ص٢٩؛ المقريزي، مصدر سابق، ج٢، ص١٤٤-١٨٤؛ ج٤، ص١٣؛ المقدسي، **الفوائد النفيسة**، ص٢١-٢٣.

(٥٤) ابن واصل، مصدر سابق، ج٢، ص٥٢-٥٣؛ علي إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص٤٣٩.

(٥٥) ابن الوزَّان، الحسن بن مُحَمَّد الوزان الزياتي (ت٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م)، **وصف أفريقيا**، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، مراجعة: علي عبد الواحد، (القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥م)، ص٥٧٨-٥٧٩، ص٥٨١.

(٥٦) ابن ظهيرة، **الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة**، تحقيق: مصطفى السقَّا وكامل المهندس، (القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٩م)، ص١٨٨.

(57) Dopp, op. cit., p.17.

(58) Ghistele, op .cit., p.16-18; Breyden Bech, *les saintes peregrinations, Berand de Breyden bach, 1483* (ed.) larrvaz, le caire: 1904, p.55.

(59) Fabri, f., *voyage en egypte de felix fabri*, (ed.) masson j., Paris: 1975, vol.3, p.926.

(٦٠) جوزيف بتس، **رحلة الحاج يوسف إلى مصر ومكَّة والمدينة ١٦٨٠م**، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، سلسلة الألف كتاب الثاني، ع١٨٩، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٥م)، ص٣٣.

(61) Meshullam Ben Manahem, *Itinerary Of Rabbi Meshullam Ben Menahem of 1481*, (ed.) Adler, (in) Jewish trvellers, London: 1930, p.167.

(٦٢) العبدري، مصدر سابق، ص٢٨٠.

(٦٣) ابن الحاج، أبو عبد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد العبدري الفاسي المالكي (ت٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، **المدخل إلى الشَّرع الشريف**، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت.)،

ج١، ص٢٨٠، ج٢، ص٢٦٦-٢٧١.

(٦٤) لمزيدٍ من التفاصيل عن وضع اهتمام السلطة والمجتمع بالعيدين، كتبادل أطباق الكعك، وشراء تماثيل الحلوى من سوق الحلاويين، وزيارة المتنزهات والأماكن العامة والمزارات، وشواطئ النيل، واستئجار المراكب، والغناء ومسك الدفوف، وغير ذلك، يُنظر: ابن الحاج، مصدر سابق، ج١، ص٢٧٧-٢٨٠، ج٢، ص٢٦٦-٢٧٠؛ المقريزي، مصدر سابق، ج٣، ص١٦١-١٦٢. وهذا بخلاف احتفالات السلطة بالعيدين من خلال الخلع التي تُفرق على جميع الوظائف، وكذلك القصاد، وتنصيب الأمراء في الوظائف السنية، وهذا بخلاف المواكب والأسمطة الهائلة التي تدل على قوة الدولة اقتصادياً واجتماعياً. يُنظر: المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (القاهرة: دار الكتب، ٢٠١٠م)، ج١، ق٢، ص٤٥٩، ج٣، ق٢، ص٤٥٣؛ **الخطط**، ج٢، ص٢٢٢، ج٣، ص٣٢٦، ص٣٤٢، ص٣٧٢؛ ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد الكناني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، **إنباء الغمر بأنباء العمر**، تحقيق: حسن حبشي، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٨م)، ج٣، ص٣٣٠؛ القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ط٣، (القاهرة: دار الكتب، ٢٠١٠م)، ج٣، ص٥١٣، ص٥٢٧-٥٢٩، ج٤، ص٧-٨، ص٤٦، ص٥٣-٥٦؛ ابن شاهين، غرس الدين بن شاهين الظاهري (ت٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م)، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، تحقيق: محمه بولس راويس، (باريس: ١٨٩٤م)، ص١٩٢-١٩٣؛ ابن إياس، **بدائع**، ج١، ق١، ص٢٩٥، ص٣٢٢، ج٢، ص٤٢٠، ج٣، الصفحات: ٦٩، ص٩٣، ص١٤٩، ص١٨٩، ص٢٧٤، ج٤، ص٤-٦، الصفحات: ٨٨، ١٢٧، ١٤٥، ١٤٧، ١٦٧، ٤٠٤، ٤٧٨، ج٥، ص١١١.

(٦٥) المقريزي، **السلوك**، ج٣، ق٢، ص٩٠٩؛ **الخطط**، ج٣، ص٣٧٢؛ ابن شاهين، مصدر سابق، ص٨٦-٨٧؛ ابن إياس، مصدر سابق، ج١، ق٢، ص٥٠٨-٥٠٩.

(٦٦) العبدري، مصدر سابق، ص٢٨٩-٢٩٩.

(٦٧) المصدر نفسه، ص٢٩٩-٣٠٣، ص٣٠٨-٣١١.

(٦٨) المصدر نفسه، ص٣١١.

(٦٩) البغدادي، مصدر سابق، ص٥٥ وما بعدها.

(٧٠) ابن الكندي، **فضائل مصر المحروسة**، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة الأسرة، ١٩٩٧م(، ص٧-١١، ص٢٧-٢٨؛ ابن زولاق، أبو مُحَمَّد الحسن بن إبراهيم الليثي (ت٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)، **فضائل مصر وأخبارها وخواصها**، تحقيق: علي محمد عمر، ط٢، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م(، ص٦-٨، ص٩٧-١٠٣.

(٧١) مؤلِّف مجهول، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، تحقيق: يوسف الهادي، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٩٩٩م)، ص١٣١.

(٧٢) ابن الوزَّان، مصدر سابق، ص٥٧٩.

(٧٣) بتس، مرجع سابق، ص٣٣-٣٤.

(٧٤) ابن شاهين، مصدر سابق، ص٩٠.

(٧٥) السيوطي، **حُسن المحاضرة**، ج١، ص٢٥.

(٧٦) المقريزي، **الخطط**، ج١، ص٣٥، ص٤٢، ص٤٤، ص٤٨-٥١.

(٧٧) العبدري، مصدر سابق، ص٣١٥-٣١٨.

(٧٨) المقريزي، مصدر سابق، ج١، ص٤٨.

(٧٩) السيوطي، مصدر سابق، ج١، ص٦١. ولمزيدٍ من التفاصيل عن الأهرام وآراء المؤرِّخين، وما ذُكر من أشعار، يُنظر: المصدر نفسه، ص٥٩-٦٩.

(٨٠) البغدادي، مصدر سابق، ص٨٩-٩٦.

(٨١) ابن الكندي، مصدر سابق، ص٤٧؛ ابن زولاق، مصدر سابق، ص٧٠-٧١.

(82) Meshullam, op. cit., p.168.

(83) Harff, op. cit., p.126.

(84) Fabri, op. cit., vol.3, p.931; Domenioco, op. cit., p.197; Breyden, op. cit., p.57.

(٨٥) العبدري، مصدر سابق، ص٣١٢-٣١٤.

(٨٦) ابـن بطوطـة، مُحَمَّـد بـن عبـد الله بـن مُحَمَّـد اللـواتي (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، **رحلة بن بطوطة المُسـمَّاة (تحفة النظَّـار في غرائب الأمصـار وعجائب الأسـفار)**، ط٢، (القاهـرة: مطبعـة مـصر، ١٣٢٢هـ)، ج١، ص٢١؛ **مهذَّب رحلة ابن بطوطة المُسـمَّاة** (تحفة النظَّار في غرائب الأمصـار وعجائب الأسـفار)، تهذيب: أحمـد العوامي ومحمـد أحمد جـاد المـولى، (القاهـرة: المطبعـة الأميرية، ١٩٣٣م)، ج١، ص٢٩.

(87) Piloti, E., *L'Egypte au commencement du Quinziemé Siècle d'après le trait d'emmannel piloti crète*, ed. By: P. H. Dopp., Le Caire, 1950, p.5.

(٨٨) ابن الوزَّان، مصدر سابق، ص٥٦٣.

(٨٩) هـيردوت، **هيردوت يتحدث عن مـصر**، ترجمة: محمد صقر خفاجة، (القاهرة: دار القلم، ١٩٦٦م)، ص٧٤.

(٩٠) ابن زولاق، مصدر سابق، ص٧٤.

(٩١) ابن الكندي، مصدر سابق، ص٤٣-٤٤.

(٩٢) المقريزي، مصدر سابق، ج١، ص٨٠-١١٠.

(٩٣) ابـن بطوطـة، **رحلـة**، ج١، ص٢٢؛ **مهـذَّب**، ج١، ص٣٠؛ البغـدادي، مصـدر سـابق،ص١٢٥-١٢٦؛ النويري، شـهاب الدين أحمد بن عبـد الوهاب بن مُحَمَّد (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)، **نهايـة الأرب في فنـون الأدب**، (القاهـرة: دار الكتـب، ١٩٧٦م)، السِـفر الأول، ص٣٥٥؛ المقـدسي، مصـدر سـابق، ص٢٠٦؛ ابـن ظهيرة، مصدر سابق، ص١٦٠.

(٩٤) القلقشندي، مصدر سابق، ج٣، ص٤٤٩-٤٥٠.

(٩٥) المقريزي، مصدر سابق، ج١، ص٩٦.

(96) Meshullam, op. cit., p.171.

(٩٧) العبدري، مصدر سابق، ص٣١٩-٣٢٦.

(٩٨) المقريـزي، مصـدر سـابق، ج٤، ص٣٠٦ وما بعدها، ص٣١٢ ومـا بعدهـا؛ ابـن زولاق، مصـدر سـابق، ص٥٢.

(٩٩) ابن الوزَّان، مصدر سابق، ص٥٨٦-٥٨٧.

(١٠٠) العبدري، مصدر سابق، ص٣٢٧-٣٢٩.

(١٠١) المقريـزي، مصدر سـابق، ج٤، ص٣١٧ وما بعدها، ص٣٤٥-٣٤٩؛ ابن زولاق، مصدر سابق، ص٣٠.

(١٠٢) العبدري، مصدر سابق، ص٢٧٨.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص٣٠٤.

(١٠٤) المصدر نفسه، ص٣١٦.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص٣٢٠-٣٢١.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص٢٨٠.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص٣١٩.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص٢٧٦-٢٧٩.

(١٠٩) المصدر نفسه، ص٢٧٦-٢٧٨.

(١١٠) المصدر نفسه، ص٢٧٨-٢٧٩.

(١١١) ابن ظهيرة، مصدر سابق، ص٢٠٤.

(١١٢) الإدريـسي، أبـو عبـد الله مُحَمَّـد بـن مُحَمَّـد الهاشـمي القرشي (ت٥٥٩هـ/ ١١٦٦م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفـاق**، (القاهـرة: مكتبـة الثقافـة الدينيـة، ١٩٩٩م)، ص٣٢٣؛ ابن سعيد، **المغرب في حُلي المغرب**، ص٩.

(١١٣) أحمـد محمـد عوف، **مدينة الفسـطاط وعبقرية المكان**، سلسـلة العِلم والحيـاة، ع١٤٤، (القاهـرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٣م)، ص١٦٠.

(١١٤) السيوطي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٠٠.

(١١٥) ابن الوزَّان، مصدر سابق، ص٥٩١.

(١١٦) العبدري، مصدر سابق، ص٢٨٠.

(١١٧) عـن الواجهة الدينية، يُنظـر: أحمد عبد الرازق محمد، **عوامل انهيار دولة سـلاطين المماليك في مصر**، (القاهرة:

دار عين، ٢٠١٧م)، ص٩٢-٩٣، ص١٨٨-١٩٢.

(١١٨) المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٢، ص٣٥٠-٣٥٩؛ ابن العِبري، أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الملطي (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٦م)، **تاريخ مختصر الدول**، صحَّحه: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، ط٢، (لبنان: دار الرائد، ١٩٩٤م)، ص٤٨٩.

(١١٩) المقريزي، مصدر سابق، ج١، ق٢، ص٣٧٠، ص٤٠٩، ص٤٤٨-٤٥١؛ السيوطي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٤-٤٩؛ ابن إياس، مصدر سابق، ج١، ق١، ص٣٠١، ص٣١٦-٣١٩.

(١٢٠) السيوطي، مصدر سابق، ج٢، ص١٨٥، ص٢٥٦؛ ابن إياس، مصدر سابق، ج١، ق٢، ص٣٤٠-٣٤١، ص٤٤٨.

(١٢١) ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلتهِ غرباً وشرقاً**، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، تقديم: عبادة كحيلة، سلسلة الذخائر، ع١٠٠، (القاهرة: هيئة قصور الثقافة، ٢٠٠٣م)، ص٢٤٧؛ أوليا جلبي، **سياحة نامه مصر**، ترجمة: محمد علي عوني، تحقيق: عبد الوهاب عزَّام وأحمد السعيد سليمان، (القاهرة: دار الكتب، ٢٠٠٩م)، ص٣١٠. وعن وصف الجوامع والمساجد والزوايا والأربطة والخنقاوات، يُنظر: المقريزي، **الخطط**، ج٤، ص٣-١٤٠، ص٢٦٤-٣٣٣؛ علي السيد علي، **القدس في العصر المملوكي**، (القاهرة: ١٩٨٦م)، ص٣٢.

(١٢٢) ابن خلدون، مصدر سابق، ص٢٧٩؛ السيوطي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٠٣-٢٠٩؛ أوليا جلبي، مصدر سابق، ص٣١٦. وعن المدارس، يُنظر: المقريزي، مصدر سابق، ج٤، ص١٩١-٢٥٢.

(123) Breyden, op. cit., p.55.

(124) Fabri, op. cit., vol.2, p.529.

(125) Harff, op. cit., p.117.

(126) Thenoud, j., *le voyage de autre mer de jeun thenoud*, Paris, 1888, p.51; fabric, Op. cit., vol.2, p.640.

(١٢٧) أبو شامة، **تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين والمعروف بالذيل على الروضتين**، صحَّحه: محمد زاهد الكوثري والسيد عزَّت العطَّار، ط٢، (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٤م)، ص٢١٦؛ المقريزي، **السلوك**، ج١، ق٢، ص٤١٦-٤١٧؛ عز الدين بن عبد السلام، **أحكام الجهاد وفضائله**، تحقيق: إياد خالد، (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦م)، ص١٩؛ ابن طولون، أبو العباس أحمد (ت٢٧٠هـ/ ٨٨٤م)، **نقد الطالب لزغل المناصب**، تحقيق: محمد وخالد أحمد دهان ونزار أباظة، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٢م)، ص٨١-٨٣؛ العيني، أبو مُحَمَّد محمود بن أحمد بن موسى (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق: محمد محمد أمين، (القاهرة: دار الكتب، ٢٠١٠م)، ص٢١٨-٢١٩؛ ابن إياس، مصدر سابق، ج١، ق١، ص٣٠١-٣٠٢، ج١، ق٢، ص٣١٨.

(١٢٨) ابن إياس، مصدر سابق، ج١، ق٢، ص١٦٩.

(١٢٩) المقريزي، مصدر سابق، ج٤، ص٢١١.

(١٣٠) العبدري، مصدر سابق، ص٢٨١-٢٨٢. وقد أشار الرحَّالة ابن الوزَّان أنَّ حي بين القصرين يضم «دكاكين يُباع فيها اللحم المطبوخ في حوالي ستين دكَّاناً... ويوجد بين هذهِ الدكاكين عددٌ آخر من دكاكين مبعثرة فيها الزلابية والبيض المقلي والجبن، ونجد بجوار هذهِ الدكاكين حياً مشغولاً بالصُنَّاع من مختلف المِهَن الشريفة»، بالإضافة للعديد من الفنادق التي تُباع فيها أنواع الأقمشة المختلفة، وغير ذلك من تجار التوابل والصَّاغة. يُنظر: ابن الوزَّان، **وصف أفريقيا**، ص٥٨٠-٥٨١.

(131) Domenioco, op. cit., p.211-212.

(132) Ghistele, op. cit., p.67-77; Thenoud, op. cit., p.48; nicolo, *voyage beyond the sea 1346-1350*, Jerusalem, 1945, p.114.

(133) Meshullam, op. cit., p.171.

(١٣٤) العبدري، مصدر سابق، ص٢٨٢-٢٨٣.

Cairo east view 1848. By David Roberts

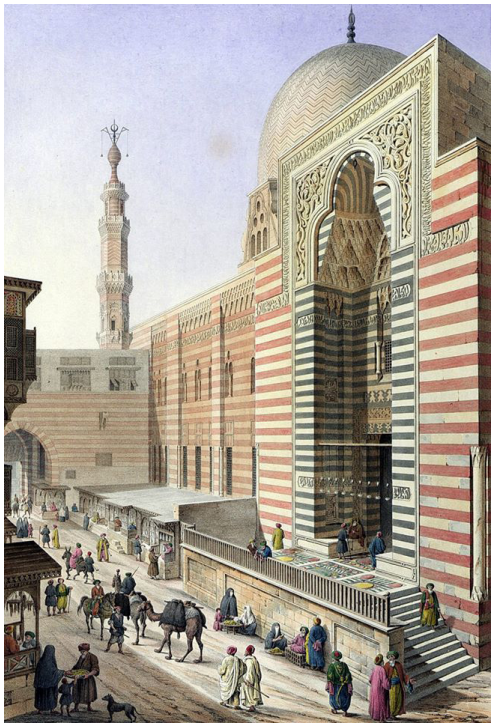

Complex of Sultan al-Muayyad Shaykh 1818. By Pascal Xavier Coste - French, 1787-1879

Complex of Sultan Hasan From Inside. By Pascal Xavier Coste French, 1787-1879

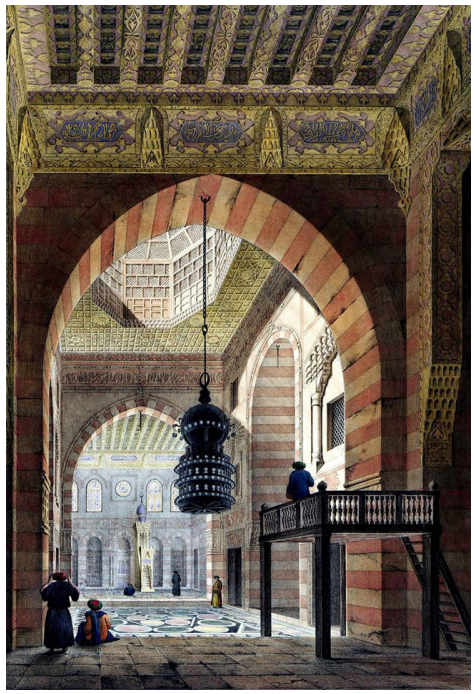

Complex of Sultan Qaytbay. BY Pascal Xavier Coste - French, 1787-1879

David Roberts - The Citadel of Cairo, Residence of Mehmed Ali First Edition, 1842-49

Entrance to the city of Cairo, By David Roberts

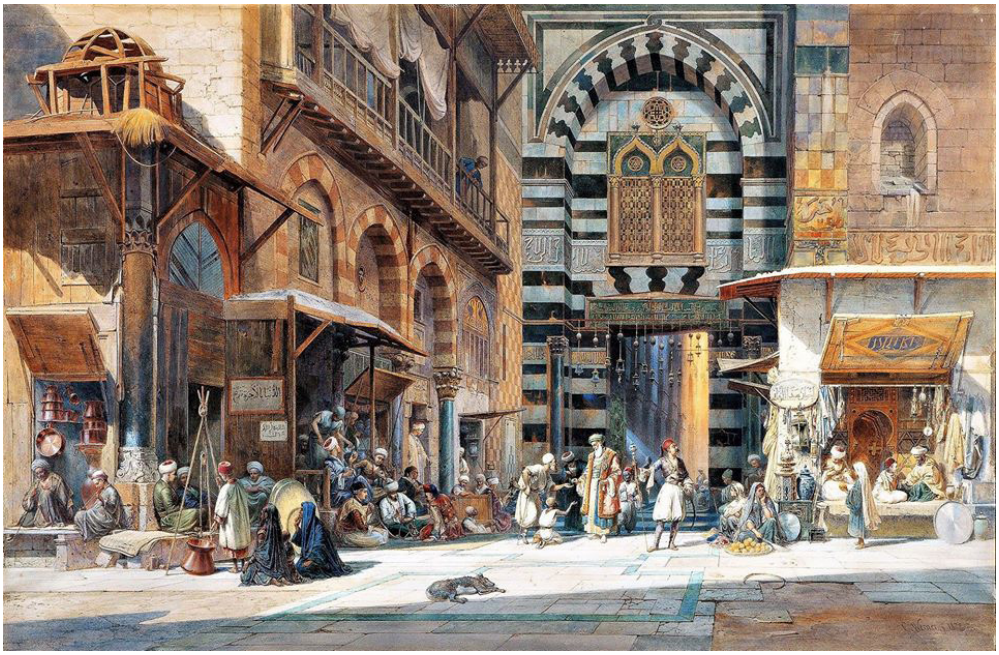

Impressive view of the mosque of al mouristan from the complex of Sultan Al Mansur Qalawun in Cairo 1872. Carl Werner - Germany, 1808 – 1894

In Cairo. Adrien Dauzats, French (1804-1868)

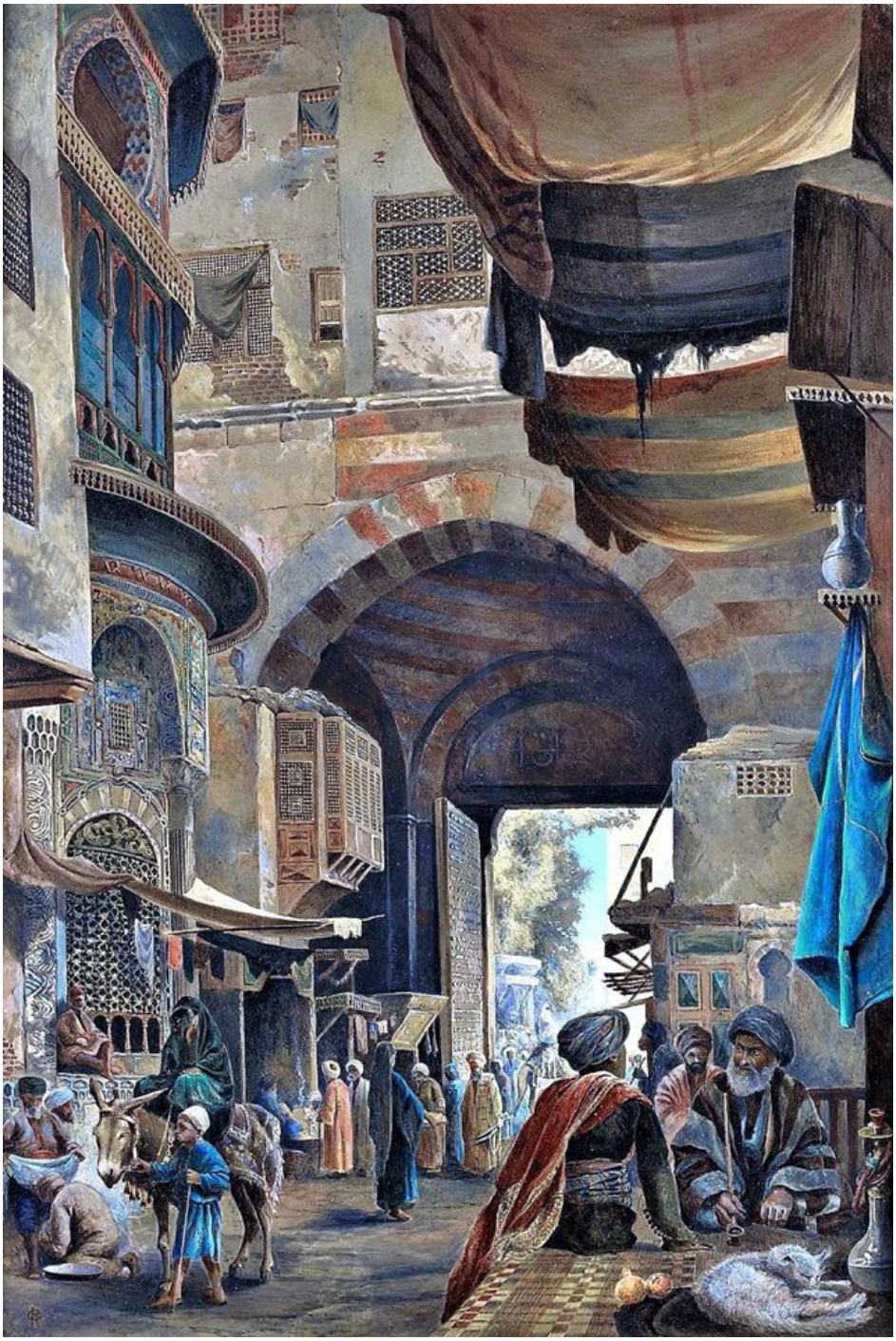

In the Bazaar, Cairo, Sabil Nafisa al-Bayda on the left side & The gate of Bab Zuweila in the front Charles Robertson - British, 1844-1891

Interior of the Mosque Sultan Hassan, Cairo 1876. Frederick Goodall, English, 1822-1904

Mosque of Amr ibn al-As 1818. By Pascal Xavier Coste - French, 1787-1879

Sunrise on the Nile. Charles Théodore Frère - French, 1814-1888

Temple of khnum at Esna 1843. John Harrison Allan - British, 1820-1882

The Pyramids at Gizeh 1890. by Ernst Koerner - German, 1846 - 1927

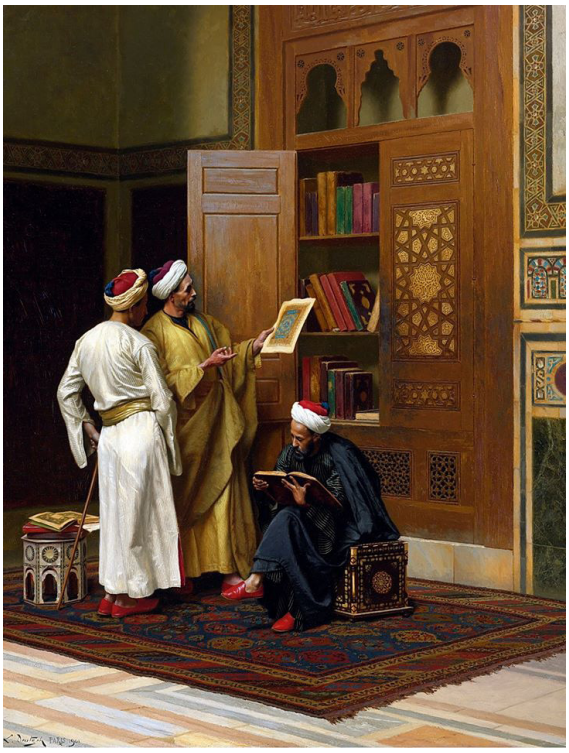

The Scholars, 1901. By Ludwig Deutsch - Austrian, 1855 - 1935

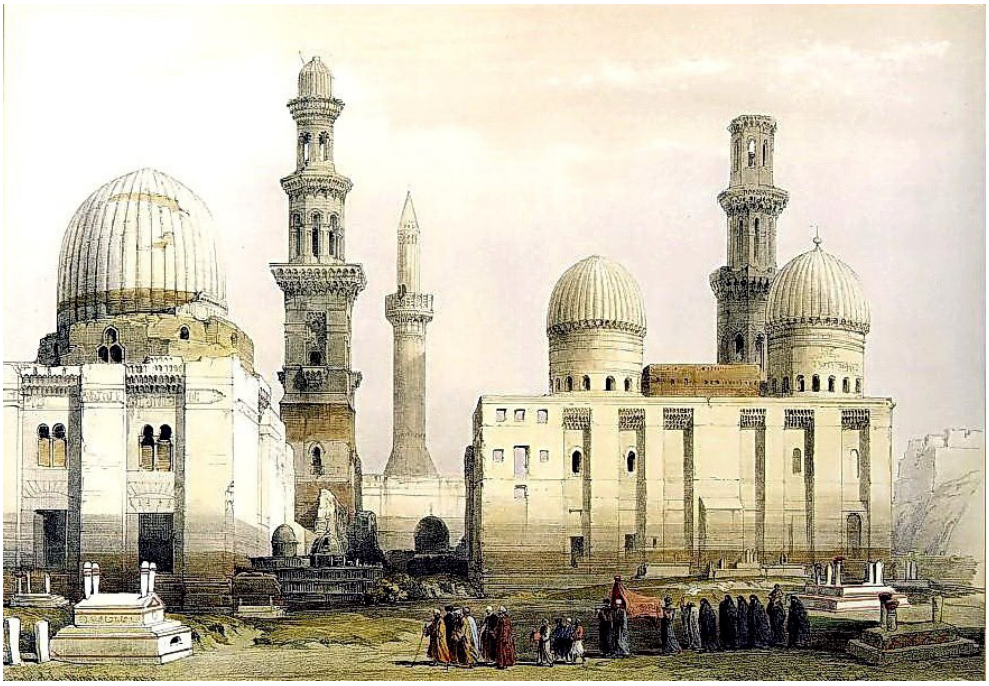

Tombs of the Mamlouks, Cairo, with an Arab Funeral. By David Roberts (1796-1864)

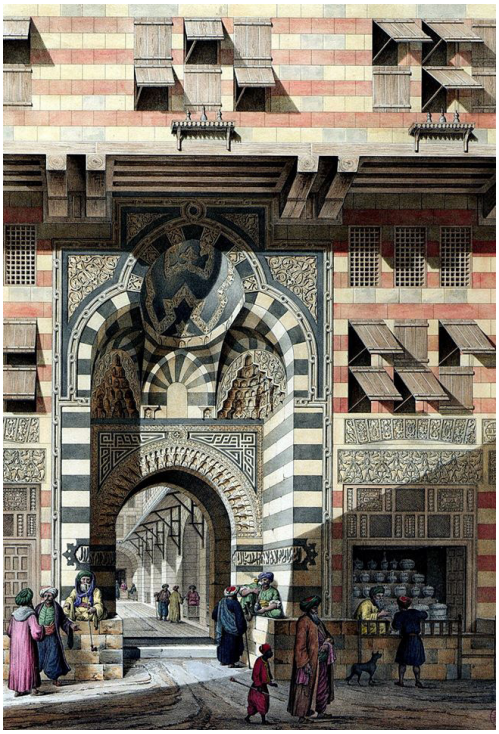

View of the Gate of Qaitbay ,Cairo 1818. By Pascal Xavier, French, 1787-1879

View of the Bab-el-Fotouh, Cairo 1818. by Pascal Xavier Coste - French, 1787-1879

Cairo as seen by the traveler al-’Abdari

Dr. Ahmed abd al-Razek abd al-Aziz

Zagazig University / College of Arts

Summary:

A journey is to be in contact with people and nations, a source of describing human cultures, and watching the ways of daily life of a society in terms of being related to individuals and nations life.

The subject of the study is Cairo in the journey of al-’Abdari, a social critic and traveler who passed through Egypt during the Mamluk period and left a journey entitled “The Moroccan Journey", which was characterized by an important aspect of Egypt’s economic, social, political and even religious history. The study will talk about Cairo in the views of al-Abdari from the side that al-’Abdari saw. and perhaps a contribution in Egypt's social history during the Mamluks.

The first purpose of al-’Abderi journey was to pilgrimage and second to ask for science, which allowed him to see many countries, through which he was exposed to many positions that are subject to personal opinions, but he always highlighted the bad side in his views in Egypt in the era of the Mamluk sultans. The most important of his views was about Cairo, and his vision about the city, and we have shown some views of foreign travelers, and Arab historians of Cairo in general, so that our opinion of al-’Abderi is not binding on us.

Key words: Backpackers, markets, Cairo, Nile, al-’Abderi, mosques.